
مشهد
نوفيلا
محذوف
Deleted scene
صابرين الديب
S.D

مشهد محذوف

نوفيلا

جروب حلم-هن

ولنا مع الحرف حلم..

للانضمام للحلم

[جروب حلم-هن]

بقلم

صابرين الديب

تصميم غلاف وداخلي

صابرين الديب

أسوأ كلمة يسمعها المخرج هي:

- هل اللقطة القادمة مهمة؟.. هل يمكن حذفها؟..

"ديفيد فينشر"

أحيانًا تكون الصورة خادعة حد فرض التصديق!

بعدها بنهاية الأمر؛ تصل لحقيقته..

أنك لم تكن أكثر من مغفل دقق بالرتوش، وأهمل التفاصيل!

مقدمة

حرفة الحياة إغراقنا في تفاصيل قد نتيه فيها حد عدم الانتباه!..

***

خروجًا مما خلف الشاشة لنلامس أرض الواقع، هل هناك مشاهد يجوز حذفها!

تفاصيل لا يُسمح بذكرها!

حقائق أُتقِن إخفاءها فباتت مجرد هوامش مطموسة!

ألا يسبب ذاك فوضى عارمة!

أو ربما تخلق الكذبات عالمًا من خيال لا يباح وطء أرضه وإلا..

لن تكون سوى محض.. خاسر!

خاسر أعمى بصيرته وهج النجوم، ففوت الصورة الكاملة، واكتفى دون يقين بوهم خادع منحه في النهاية..

كل الألم..

مرار الهزيمة..

وهروبًا غير لائق من مشهد كان فيه.. البطل!

المشهد الأول

بعض الفرص لا تتكرر.. فإن لم تتمسك بالأولى؛ لن تكون هناك ثانية لتلحق بها..

وبالنسبة لعارض الأزياء الوسيم "بلال الشريف" كانت فرصة التمثيل أمام نجمة لها وزنها رغم صغر سنها ورصيدها القليل بعالم السينما كالحمراء "دارين نصار"، كانت فرصة لا تعوض!

فهي فاتنة.. نارية المزاج، لها كاريزما غير عادية ويشيعون عنها أنها على خلاف دائم مع الجنس الخشن، فلا يفوت لقاء من لقاءاتها التلفزيونية أو الصحفية إلا و.. "قصفت جبهتهم" على حد التعبير الدارج..

وهو..

الشاب ذو الثماني وعشرون عامًا، صاحب العيون العسلية الجذابة، والوسامة العابثة والنظرات الشقية الممتزج بها وقاحة محببة.. إلى جوار بسمته التي يلتوي بها فمه دومًا في مكر جعل معجباته في ازدياد مستمر..

وبصفحته على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" كن يتابعن أخباره أولًا بأول، يعلقن على صوره الملتقطة على طريقة "السيلفي".. ويتنهدن برموز تحولت أعينها للقلوب وأخرى ترسل القبلات، ولا تخرج التعليقات عنده عن ثلاث شهيرة:

- أنت إزاي كده!!

- بيلي.. هو في كده بجد؟

- أنت مرتبط يا بيلي ولا لسه بتفكر.. أصل حددت لك ميعاد مع بابا!

وكل رد من ردوده لا يخلو من رمز الغمزة.. والآخر مرتدي المنظار الأسود الموحي بالغموض..

وعلى آخر تحديث للحالة قام به والذي كان:

"معروض عليا فيلم مع دارين نصار.. إيه رأيكم أنفع أمثل؟؟!"

انهمرت التعليقات ما بين المشجعة، المغتاظة والحانقة.. والغيور، وما تكرر بينها أكثر كان واحدًا يشبه:

"دارين الباردة!!.. مش فاهمة هي طالعة فيها على إيه؟.. عشان حلوة شوية!.. حلاوتها تجزع أصلا"

وترد عليها أخرى:

"يا بنتي ولا حلوة ولا حاجة.. تلاقيها ضاربة شعرها أحمر عند كوافير حنفي الأبهة"

وتتدخل ثالثة:

"وعاملاه كيرلي عايشة فيها دور الأميرة والدب"

أما هو فيراقب من خلف شاشة هاتفه ويضحك..

وبعقله تتردد الكلمة بعبث:

"هه.. البنات"

***

والبنات!..

البنات هن ألطف الكائنات أو ذاك ما كان يسمعه وهو صغير، وهكذا يظن وهو عابث كبير!

إلى حد ما، وفي اتجاه ما يليق بأفكاره غير المحتشمة..

إلا واحدة.. أو ربما اثنتان..

الحامل العصبية المجنونة والتي تثير جنون زوجها وجنونه.. "منة" المدللة..

والأخرى التي تظن نفسها قائدة العائلة رغم أنها تصغره بأربع سنوات "نانسي"!!

هما ليستا الألطف.. بل الأكثر إثارة للغيظ، والأكثر طلبًا للدلال، ومن وجهة نظرهما فهما كذلك الأكثر استحقاقًا له ممن حولهما وخاصة.. هو!

الأخ الأكبر..

عقب رنين متواصل فور وضع إصبعه على جرس عُش صغيرته كما تسميه انفتح الباب أمامه ليظهر من خلفه الزوج المشعث ذا العينين المحمرتين.. ولوهلة تصور أنه سيتشبث بقميصه ويسقط على ركبتيه هاتفًا باستجداء:

"الرحمة!"

لكن ما قابله كان ابتسامة متعبة والشقية تكاد تقفز من فوق كتفه بقصر قامتها:

- بيلي.. جبت الفسيخ!

توسعت عيناه مدعيًا الصدمة بينما يدلف للداخل والباب يغلق بعده:

- مونش يا حبيبتي.. الفسيخ غلط عليك، ما ينفعش أنتِ على وشك ولادة.

وتذمرت ومن ورائها كان زوجها يشير بيديه بقلة حيلة يائسة أشعرته بالشفقة عليه، تحرك وقرر شغلها بشيء ما عدا طلبها المهين من وجهة نظره:

- حبيبي بقى كوباية توت من إيدك الحلوة.

- لا مع نفسك مادام ما جبتليش الفسيخ.

وتحركت نحو غرفتها و"عمرو" يخبره بهمس كأنما يخشى أن تصل همساته لأذنيها:

- نصيحة مني.. ما تطلبش منها حاجة، العصير فيه سم قاتل.

وهي عادت برأسها ترمقه بسخط ماكر:

- سمعتك على فكرة.

ونالت اعتذارًا وتوقيرًا وبسمة تبجيل فشمخت بجبينها وتجاهلت الرجلين وشقيقها يجذب زوجها نحو غرفة المعيشة:

- هي أختي آه.. بس الله يكون في عونك.

وحبس أنفاسه لحظة مراقبًا المكان من حوله:

- إحنا متراقبين!

قهقه الاثنان وتجاهلتهما هي حينما ارتفع رنين الجرس مجددًا لتعدو نحوه تلك المرة ببهجة طفلة:

- مينو..

فتحت الباب وهي تنظر من خلفه بلهفة، تلقفت الصغيرة من بين ذراعي أبيها وانهالت على وجنتيها الممتلئتين بالقبلات والضحكات تعلو في المكان، أتى زوجها مرحبًا:

- طيب يا بنتي دخليه قبل ما تاكلي البنت.

رمقته بغيظ:

- مالكش دعوة.. مينو بتحبني أبوسها كده.. صح يا مينو؟

والطفلة لامست وجنتها بكفها المكتنزة وتمتمت بمرح:

- توتة.. توتة..

كادت تأكل وجنتيها بالفعل وهي تهتف:

- حبيبة توتة أنتِ.

وتحركت بها تجاه المطبخ:

- تعالي بقى نشرب التوت زي كل مرة.

الأخ يراقب بغيظ والزوج باستسلام يائس بينما "أحمد" يبتسم بعبث وهو يوكزه بمرفقه:

- هي تشرب توت وأنت بتشرب إيه!

- المُر.

وكانت هذه همسه "بلال" قبل أن تتعالى قهقهة الثلاث وهم يعودون للغرفة المريحة، غمز "أحمد" أخيه الأصغر بتساؤل:

- جبت لها الفسيخ!

- بس يا أحمد أنت عارف إني مش باطيق ريحته.

جلس باسترخاء ولامه بمكر:

- طب ومسعود.. مش خايف يطلع له فسيخة في خده!

حدجه شقيقه بسخرية:

- ما تخليها مسعد أحسن.

وتدخل "بلال" مكملًا "الألشة" بمشاكسة:

- سعيد أبو السعد.

أسند "عمرو" ظهره للأريكة بتعب:

- خافوا بس لا تسمعكم.. مش هاكون مسئول عن المجزرة اللي هتحصل.

والتفت لأخيها بشبه توسل:

- ما تروح تجيب لها يا بيلي.. دي روشتني، حد يتوحم في التامن يا ناس!!

وهو زوى ما بين حاجبيه بترفع مفتعل واسترخى بجلسته واضعًا ساقًا فوق أخرى، شمخ برأسه وغمزه بعبث متباه:

- أنت اتجننت يا عمور ولا إيه!.. عاوز الفنان يروح يشتري فسيخ؟!

ثم عدل ياقة قميصه بتفاخر جعل الزوج يوبخه:

- أختك يا بني.

التوى جانب فم "بلال" بشقاوة:

- ما هي مراتك واللي في بطنها وهيموت على الفسيخ ده ابنك.

زفر "عمرو" بحرارة بينما يرفع يديه نحو السماء و"أحمد" يتساءل:

- إيه موضوع الفنان ده!.. وافقت على الفيلم خلاص؟

اعتدل "بلال" بجدية:

- والله يا أحمد كتير قالوا لي دي فرصة، هو مش مجالي أينعم بس عملت الأوديشن وعجبتهم.

اعتدل "عمرو" يغيظه:

- لا ومش أي فرصة.. دي مع ملكة الجليد شخصيًا!

ابتسم الفنان بشقاوة:

- بكرة يدوب.

ثوان ووصل صوت الصغيرة لأذنيهم ضاحكًا فأردف:

- إلحق بنتك يا أبو حميد.. مونش ساعات بتتحول لهانيبال لكتر.

"بابا"

وكلما سمع هو النداء خفق قلبه، فالخائنة كما تلقبها والدتها نادته قبلها، بل وتحاول نطق اسمه متكاسلة عن منح أمها اللقب المقدس!

نهض منحنيًا يستقبل خطواتها المتعثرة فوق صدره وهي تنظر لعمها بمرح:

- مووور..

وهي اقتصت من اسمه حرف العين الثقيل واكتفت بالباقي كما يناديه أخيه الأكبر، تناولها يضمها ويداعبها بخشونة ذقنه وزوجته تنهره بحدة:

- عمرو بلاش كده هتوجعها.

والزوج يغيظها ويدفن رأسه في منحنى عنق الصغيرة يدغدغها:

- اطلعي أنتِ منها يا أم مسعود.. هي مبسوطة.

تغتاظ الزوجة وتدب بقدميها في الأرض، يضحك الأخوة..

و"توتة".. تظل هي "توتة"

حبيبته المجنونة.. الزملكاوية صاحبة الرقم القياسي في سكب العصير على ملابسه ووجهه، وزوجته التي تحمل طفله المنتظر..

يغمزها حين لا يراه أحد.. ويهمس لها بكلمة تدليل، ويعدها بنيل السماح بعد رحيل مفرقا الجماعات، وهي كعادتها فقط.. تتدلل!

المشهد الثاني

النساء زينة أخرى من زينات الدنيا في عيون كل رجل.. خاصة الفاتنات منهن، في مرحلة ما على الأقل!

ورغم حسنها الذي يغشي أعين الرجال على الشاشة، فهي بالفعل يليق بها اللقب وبشدة..

"ملكة الجليد"..

تجلس في مواجهته بتعالٍ بارد، لا تمنحه ربع نظرة، ولا تلتفت إليه إلا ببضع رمشات حينما يحادثه المنتج أو يلقي هو بتعليق ما.. يبدو لها سخيفًا وللآخرين مضحكًا..

فهي لا تضحك..

تزم شفتيها..

ترفع أحد حاجبيها برفعة طفيفة كأنها تمانع وجودها بالمكان..

وتعقص خصلاتها النارية الشهيرة في ربطة رسمية جافة مع قليل من مساحيق الزينة تزيدها فتنة ولا تخِل ببراءة ملامحها..

لم يظهر عليها انفعالًا محددًا إلا مع اقتراح المنتج الذي نهضت بحدة ترفضه:

- لا طبعا.. مش موافقة.

والرجل استقام يواجهها بدبلوماسية هادئة:

- فكري فيها كنوع من الدعاية..

وأشار بيده يمنح نفسه هالة سيطرة لا تليق به:

- دعاية مجانية وفي نفس الوقت فرقعة مش قليلة.

وتحولت الإشارة لخط عرضي بسبابته وإبهامه كأنه يتحدث عن عنوان يتصدر الصحف:

- النجمة الحمراء والفنان الصاعد وقصة حب وراء الكواليس.

- لأ.

وتكرر رفضها وتعنتها.. والصاعد صامت ببسمة لا تعني شيئًا، هي فقط تثير حنقها أكثر حتى أنها رمقته من عِلّ:

- أنت موافق على الكلام ده!!.. ما فيش واحدة في حياتك يهمك ما تشوفش كلام زي ده؟

توسعت بسمته تقترب من المكر ونهض هو الآخر:

- هو لو بتسألي أنا مرتبط ولا لأ!.. فلأ مش مرتبط، ما فيش واحدة هتزعل، وعادي موافق، دي مجرد بروباجندا.

وتدخل المنتج بعنجهية:

- وأنتِ كمان ما فيش حد في حياتك يا دارين عشان تهتمي.. اعتبريها إشاعة زي غيرها.

رمقته بسخط:

- أنت قلت إن هيكون في صور.

رفع الرجل حاجبًا خبيثا ولهجته باتت أشبه بالفحيح:

- زي كل إشاعة.. صور عفوية هتتفهم غلط، بعد الفيلم ينزل بيها تكذيب، دعاية مجانية زي ما قلت لك.

وهي همست من بين أسنانها لتصل الهمسة لأذني "بلال" فقط:

- قصدك دعاية رخيصة.

بنظرة أعلمها أنه سمعها فتجاهلته ببرود:

- مجدي موافق على الكلام ده!

ورد الرجل أتاها أكثر برودة:

- شغل الدعاية يخصني، المخرج مالوش علاقة بيه.

صمتت على مضض..

تكره الخضوع وتكره أكثر تقديم التنازلات..

أما عن أسباب الرفض!

فهي لا تملك حق التصريح بها.. ولن يحترق في هذا الجحيم سواها.

***

وكما هي العادات والتقاليد في مثل هذه الأمور..

بداية العمل كانت كعكة ضخمة تحمل صورة النجمة الصهباء واسمها.. جوار اسم الفيلم الجديد وبخط مميز يليق بموهبتها الفذة..

وكان اللقاء الثاني في حفل بداية العمل ومقابلة فريق العمل..

وعنها!

فقد كانت مختلفة، ترمقه بتفحص خلا من البرود السابق، تتجاهله وذاك ليس بمختلف، لكن عندما اقترب ومد يده يصافح ويهنئ تقبلت مصافحته ببساطة:

- مبروك.

- مبروك لينا كلنا.

ابتسم فبدت بسمته جذابة ولمع عسل عينيه بشقاوة:

- مبروك ليا بالتحديد.

تغضن جبينها بحيرة!.. فقط طريقتها المتحفظة لم تتغير وهي ترمقه دول فضول نسائي معتاد، مال نحوها بمكر:

- أظن كل النجوم بيحسدوني في اللحظة دي.

منحته بسمة باهتة وتقبلت مجاملته بهدوء قبل أن تخطو مبتعدة:

- ده أكيد.

- ده غرور!

وكان يطيل اللقاء، فعنجهيتها المختفية بذاك الوقت رغم أن صلفها لم يقِل ولو درجة كانت تدفعه لمحاورتها أكثر، وهي توقفت.. صمتت لثانتين بالتحديد قبل أن تنظر نحوه من فوق كتفها ماطة شفتيها:

- ده إقرار واقع.. وبس.

اتسعت بسمته ولامس صدره بكفه المفتوحة بنصف انحناءة توقير من رأسه:

- بتعجبني الست الواثقة من نفسها.

استدارتها كانت تامة بهاته اللحظة وهي ترفع حاجبًا متظاهرًا بدهشة:

- تعجبك!

مر جواره نادل فالتقط منه كوب عصير مد يده به إليها:

- تفتني.. لو هنتكلم بصراحة.

وهزأت هي بينما تتناول الكوب برقي وترتشف منه بأناقة:

- ما فيش راجل شرقي بيحب الست القوية أو الواثقة من نفسها.

وبخلفية عينيها تجسدت صورة من ماضٍ مكذوب دفنته، لكن رائحة عفنه تطفو للسطح بين وقت وآخر لتزكم أنفها.. وتشوه الحاضر!

أما هو فلاحظ الشرود وبدأت التخمينات تتلاعب بعقله، طرحها جانبًا واقترب خطوة:

- ده كلام عن تجربة!

وهي عادت لواقعها تفيق على ما نطقت به سهوًا:

- مش لازم تكون خبرة عملية.. في حياتنا أحيانًا الحكايات النظرية بتكون كفاية.

- عاوزة تفهميني إن ما فيش راجل في حياته ست قوية وواثقة ومتعايش مع ده.. أو مرحب بيه!

فاءت لشرودها ثوان وضعت بعدها الكوب فوق طاولة مجاورة:

- يمكن في.. بس قليلين قوي.

غمزها بعبث:

- اعتبريني من القِلة المُندسة دول.

لمعت مقلتاها -غريبتا اللون فبدتا أقرب لفضة شفافة براقة- ببسمة قبل أن تهز رأسها في تحية عابرة وتغادره حيث يقف المخرج الأربعيني الوسيم!

استقبلها الرجل بحفاوة وابتسامة مرحبة تشق وجهه..

وبداخله هو وُلِد شك.. أهناك شيء بينهما!

لذلك كانت تسأل عن موافقته على فكرة الدعاية وقصة الحب المكذوبة!

قبل أن يدقق في صورتها جواره؛ وضع أحدهم كفه على كتفه وجذبه لحوار جانبي ابتعد بعقله عن الصورة التي لم تفارق ذهنه عقب عودته لمنزله..

بداية التصوير في الغد..

أو بالأحرى..

هي مرحلة جديدة سيخطو إليها بكامل إرادته ويجب أن يصبح جديرًا بما تتطلبه منه!

وحين تدور الكاميرات؛ سيكون عليه أن يكون.. البطل.

***

"Action"

الصورة تلتقطها الكاميرا بقرب شديد، والجميلة تهبط الدرج في قصر والدها حيث الحفل الخاص بنجاحها في الحصول على الصفقة شديدة الأهمية.. والاستيلاء على شركات منافسهم في السوق وبطرقعة من أصابعها..

هي العقل النافذ صاحب الخطط الحاسمة والضربات القاضية..

وانبهر الحضور بوجودها، الأب يرحب والخاطب يقترب ليحيط خصرها بذراعه هامسًا في أذنها بشيء ما ابتسمت بعده لتدلل كاميرات الصحافة المنتشرة بالمكان بفتنتها..

المشهد لا يظهر فيه نجمها الجديد، لكن من زاوية خفية بعيدة كان يقف مراقبًا، يتمعن في ملامحها التي تمارس فنها بتلقائية شديدة كأنها تقلم أظافرها لتخرج الموهبة المصقولة بعفوية وبساطة..

ابتسم وهو يراجع دوره..

فمشهده الأول معها بعد قليل..

هو ابن المنافس الذي توقف قلبه حسرة بعد انهيار أعماله والاستيلاء عليها، الابن الذي عاد بأقصى سرعة استطاعها من حيث يقيم خارج البلاد ليتلقى خبر وفاة الأب..

وقرر أن ينتقم من الحسناء التي وضعت الخطة وفازت بها بجدارة..

وككل بطل رومانسي، ينسى أن الانتقام طبق يفضل أن يقدم باردًا، لكنه بذات الوقت أشبه بضربة كرة لخصم قوي على أرض ملعب تنس.. هوايته الأولى بالمناسبة، الخصم سيرد الضربة وبقوة..

فما هي إلا لعبة، لابد وأن يكون لها فائز واحد..

وهو قرر أن يكون ذاك المنتصر..

والقدر كان له قرارًا مخالفًا عندما التقاها للمرة الأولى!

"Cut"

انتهى المشهد وبعده سيأتي دوره، مشهد مأساوي للشاب العائد من غربته ليلقي كلمة بجنازة أبيه، ويودعه قبره في وداع أخير..

وأداه بامتياز.. نال تحفيزًا من مخرجه، ومنها نظرة باردة لا يدري لمَ عادت لعينيها الجميلتين!.. وحان وقت المشهد الثالث..

اللقاء الأول بين البطل.. والبطلة!

دخل هو مكتبها مندفعًا قاسيًا يدفع مساعدتها بيده في برود:

- في إيه!

وهي نهضت تتساءل بكبرياء:

- هو مقابلة برنسيس عالم البيزنس ليه أصعب من مقابلة ملكة انجلترا!!

وكان متهكمًا ساخرًا مما جعل حاجبيها ينعقدان في جاذبية تجاهلها:

- ممكن أفهم الأول قبل الهجوم ده مين حضرتك!

وتم التعارف، وحدث اللقاء..

واشتعلت الشرارة!

المشهد الثالث

وقعت عيناها على الخبر الذي أقام الدنيا بالوسط الفني ولم يقعدها.. للمرة المائة ربما، منتجها الجشع يجيد استغلال كل موقف وصورة لصالحه..

"ميريدا" النارية سقطت في بحور العشق!

"ميلاد قصة حب جديدة خلف الكواليس بين الممثلة الشهيرة تونسية الأصل دارين نصار ونجم فيلمها الصاعد بلال الشريف"

وتكررت العناوين بمختلف المجلات والجرائد، تحمل صورتها بجنون خصلاتها إلى جوار الشاب الوسيم صاحب النظرات العابثة!

"هل تُعاد قصص العشق القديمة ويظهر على أرض الواقع الشاطر حسن!"

"الفتى المحظوظ والنجمة اللامعة.. لم يكتفِ بدور البطولة بفيلمها الجديد، بل اقتنص قلبها ليحوز على دور البطولة بقصة حياتها الخاصة"

"في أول أدواره.. يسرق بلال الشريف قلب دارين نصار خلف الكاميرات"

وتتكرر الصور..

هذه يبتسم لها بشقاوة..

وتلك يناولها مشروبها، وأخرى يغرس بموجات شعرها وردة حمراء..

والأخيرة يحيط كتفيها بذراعه ويميل ليهمس في أذنها بشيء ما..

لا هذا كثير!

ألقت المجلة من يدها بسخط، التقطت هاتفها ونهضت تدور في المكان كلبؤة حبيسة، لمست شاشته سريعًا ورفعته لأذنها:

- ميجو.. محتاجة أشوفك بسرعة.

وعند اللقاء ألقت ما بجعبتها على طاولة صغيرة أمامه:

- الموضوع كبر قوي يا مجدي.. وأنت عارف إن ممكن...

- عارف.

مقاطعته أخبرتها أنه يتفهم، وهو كان حادًا بينما يخبرها بتقرير:

- أنتِ ما خدتيش رأيي لما وافقتِ على الدعاية دي.. خلاص ما بقاش في رجوع.

- بس...

وعاد يقاطع وإن اكتسبت نبرته شيئًا من وُد شفوق تلك المرة:

- ما فيش بس يا دارين.. إحنا عدى علينا أكتر من شهر تصوير أهو، والأسبوع اللي جاي هنسافر عشان مشاهد نابولي، اهدي وركزي في الفيلم وبس.

تنهدت بحيرة..

تدرك أنها من اتخذت القرار، من وافقت على كذبة لا تستسيغها، ومن خضعت لفكرة تراها رخيصة؛ لكنها ترى أن الأمر أصبح يأخذ حيزًا أكبر مما يستحق..

تخشى أن تقع تلك الصور في الأيدي الخاطئة!

وحينها فقط لن يمكنها التبرير، أو الكذب مرة أخرى..

***

الوصول المتأخر قالوا أنه أفضل من ألا تصل أبدًا..

وهي تكره عدم الدقة في المواعيد حتى وإن كان ذاك؛ طائرة لم تصل لمطار "نابولي" في موعدها المحدد دون سبب واضح.. أو مقنع من وجهة نظرها على الأقل..

وفتاها الهمام يبدو أكثر حيوية رغم الرحلة التي استغرقت أكثر من خمس ساعات نالت خلالها نظرة على أرض الوطن عندما هبطت الطائرة في محطة توقف مؤقتة هناك..

"تونس"

الأرض التي تركتها ببقايا وجع.. ودَين لا تزال تعلقه برقبتها لليوم وبإرادتها الحرة!

"حلوة نابولي"

همس بها في أذنها متخطيًا كل حدود القرب المباحة، تراجعت خطوة ترمقه بحدة لم تصل لناظريه من خلف منظارها الشمسي الضخم، كانت لا ترى عينيه هي الأخرى وإن أدركت مدى العبث بهما من التواء شفاهه الماكر..

وأدركت مدلول كلماته وهو يشير برأسه في حركة مبهمة:

- إيه رأيك.. الشنط تطلع، نتغدى وناخد جولة!

مطت شفتيها تظهر استيائها:

- إحنا جايين نشتغل، حاول بس تركز في ده.. وبعدين الجولة دي هنطلعها مع التيم والمرشد من بكرة.

وهو ضحك بخفة جذابة وأيقنت أنه يغمزها من خلف عدسة منظاره العاكسة لصورتها المرهقة:

- دي هتبقى جولة رسمية، خلينا إحنا ناخد بريك وأفرجك على حواري نابولي.

ابتسمت هازئة وعادت لديدنها البارد معه:

- حواااري!.. محسسني إنك مولود فيها.

- تؤ.. زرتها قبل كده، والجولة معايا هتختلف.. وعد!

ابتعدت نحو المصعد تتبع حامل الحقائب وتتجاهل العابث:

- ما توعدش بحاجة أنت مش أدها.

لم يتركها تلقي بالكلمة الأخيرة فتبعها ودخل ورائها:

- جربي وشوفي بنفسك.

- لأ.

- خايفة!

وكادت تصيح باستخفاف لكنها اعتمدت نهج البرود:

- مش معقول تكون فاكر إنك ممكن تخوفني!

- ما قلتش مني على فكرة.

همسها بلؤم، وفهمتها بغضب..

توقف المصعد في الطابق الخاص بهما، غادراه وقبل أن يلاحقها بعرض جديد كانت تغلق باب غرفتها بوجهه وتتأفف بضيق..

فهي من وضعت نفسها بهذا الموقف..

أو للدقة..

غلَّت يداها عنوة والقيد هو الثمن!

***

أول يوم تصوير..

البطلة سافرت، وخطة البطل كانت تتضمن تتبعها للإيقاع بها في حبائله حتى يحكم حولها دائرة انتقامه ظنًا منه أن ذاك سيجعل والده.. يرقد في سلام!

انتهى اليوم وبعده كانت هناك جولة رسمية تتضمن متحف الآثار الوطني حيث مجموعة من أفضل آثار العالم اليونانية والرومانية..

جولة مملة كما رآها، وتجاهلته هي تتظاهر بالاستمتاع والتقاط الصور لتمثال أفروديت، أشهر منحوتة بالمكان..

وهو لم يكن ليفوت الفرصة، فبعد أكثر من شهر عمل كانت له تفاصيله الخاصة التي تخصه بها، وأجاد اللعب على أوتارها.. رغم تبدلها من حال لحال في بعض الأحيان خاصة وقت التصوير، لكنه يعلم أنه سيجيد استغلال الثغرات للوصول لما ينشده:

- عاجبك قوي التمثال!

وتأمل مجسم الفاتنة شبه العارية بنظرة ماكرة أثارت بنفسها الغضب:

- ده فن.

رفع حاجبًا خبيثًا:

- ما أنا عارف.

زفرت بضيق واضح وحاولت تخطيه لتشاهد باقي المكان في تلك الجولة الحرة التي تركهم المرشد يستمتعون بها على أن يكون لقاء العودة قرب حافلة الفريق، لكنه لم يتِح لها الفرصة وهو يخطو يمينًا يوقف خطواتها الهاربة:

- مش حاسة بملل!

ثبتت مكانها ورفعت عينين حانقتين إليه:

- بلال.. مش شايف إنك مزودها!

ابتسم، فهي تقريبًا المرة الأولى التي تتجاهل فيها حواجز الرسمية وتناديه باسمه مجردًا:

- مش شايفة إن دور الباردة ده بجد مش لايق عليكِ!

- أحسن من دور الفضولي.

توسعت بسمته حتى قاربت الضحكة:

- دايما الجمال مثير للفضول.

ومال برأسه تجاهها يعاند جمود ملامحها:

- وفي نظري أنتِ أجمل من كل الفن اللي حوالينا ده.

نجحت في تخطيه تلك المرة.. فقط لم تدرك أنه هو من سمح وقبلها كانت نبرتها ساخرة:

- مش مشكلتي إن ثقافتك حسية قوي كده.

لكن همسته بأذنها أرسلت بقلبها رعشة:

- بس مشكلتي أنا.. إنك جميلة وعنيدة قوي كده.

جمدت بوقفتها لحظة بعدها منحته نظرة باهتة غامضة لم يفهمها ثم تحركت مغادرة..

تحركت دون إدراك تام أن غضبها الذي وُلِد في هذه اللحظة سيكلفها الكثير!

***

وتكررت أيام التصوير..

العمل معها ممتع، هي حقًا متعالية باردة تتجاهله معظم الوقت رغم إتقانها لدورها أمام الكاميرا حتى كاد يصدق أنها سقطت بغرامه بالفعل..

لكن خلف الكاميرا.. كانت هناك أخرى!

نارية، حادة الطباع.. تعانده الكلمة بالكلمة وتهرب حينما تشعر بنفسها في موقف ضعف أنثوى بحت!

تثير حيرته!

نعم.. الكثير منها في الواقع، والفضول قتل القط كما يقولون، وفي حالته؛ العناد جعله واقفًا بثبات متجهم الملامح بينما هي ساخطة تتحدث بانفعال وفوهة سلاح ناري بسيط تواجههما..

بسيط.. لكنه يطلق الرصاصات القاتلة!

المشهد الرابع

بعضنا أو ربما أغلبنا لا يدرك أنه أخطأ إلا عندما يصل لحدود الخسارة غير المحتملة..

وخسارة الحياة، ذاك خط النهاية بالتأكيد..

يشاكسها كعادته، وتعاند كعادتها.. تتهرب ويطارد وفي المرة الأخيرة خرجت من الفندق بشبه ركض يشتعل الغضب فوق ملامحها الجميلة، أوقفت أول سيارة أجرة لمحتها، استقرت بمقعدها الخلفي وأمرت السائق بانجليزية سليمة أن يذهب بها إلى الخليج..

كانت تشعر بالاختناق..

تشعر بالانفصال عن عالمها..

أنها مجرد انعكاس باهت محكوم عليه بتأدية دور لا يليق به، لكنه فقط ثمن باهظ جلبه على نفسه!

وقبل أن تتحرك السيارة وجدته يجاورها فصرخت:

- بلال.. حقيقي كفاية كده.

عقد حاجبيه وهو يرى غضبها لا يناسب الموقف، تحركت السيارة تبعًا لأمرها السابق عندما أدرك سائقها معرفتهما لبعضهما البعض:

- كفاية إيه يا دارين!.. ليه الهروب والعناد المستمر ده؟!

وهي هزت رأسها بانفعال أقرب للهيستريا:

- إوعى تكون صدقت إن في بينا قصة حب بجد!

وأشارت بيدها ساخرة تحاول استعادة قناع برودها:

- دي مجرد دعاية فاشلة رغم نجاحها مع الجمهور.. بس مش المفروض إن بطل الكذبة يصدقها!

شعر بوخزة بين ضلوعه، هو لا يحبها.. لا يمكنه أن يدعي ذلك، هي فقط تجذب فيه شيئًا ما يحثه على الاقتراب منها ومحاولة اختراق شرنقتها الحامية التي تختبئ أسفل خيوطها:

- وأنا ما قلتش كده.. إحنا ممكن نكون أصدقاء، ممكن تكون علاقتنا فيها ود أكتر من كده.

واقترب يشير هو بيده تلك المرة نحوها باتهام:

- ليه بتكبري المواضيع وشايفة إن الغرور هو الطريقة الصح!

شمخت برأسها ترد بعنجهية أرادت بها إيلامه:

- ده مش غرور يا حضرة النجم الصاعد.. أنا باحط كل واحد مننا في مكانه الصح.

غضب ما وُلِد على ملامحه جعلها تدرك أنها وصلت لنقطة اللاعودة فأكملت:

- إوعى تكون فاكر عشان عملت أوديشن حلوة ووقفت قدامي بقيت نجم بجد!.. لسه قدامك كتير قوي على ما توصل للي...

- كفاية.

حادة آمرة قاطعة وبنبرة أخافتها منه للمرة الأولى والتماسك كان فرض عين في مواجهة نظرته القاتمة:

- واضح إني فهمت غلط.. مش هاحاول أتخطى حدودي بعد كده يا فنانة.

والتراجع لم يعد ممكنًا لذلك استمرت في طريقها الذي اختارته:

- يا ريت والله.

التفت للسائق يأمره بالتوقف بإيطالية شبه متقنة.. وأطاع الرجل ببساطة، فقد ليجدا أنهما بمكان مجهول..

أو كما أخبرها هو من قبل..

"حواري نابولي!"

والسائق يترجل من السيارة، يفتح بابها الخلفي ويصوب نحوهما سلاحًا آمرًا بنبرة غليظة:

- اهبطا.. وامنحاني كل ما معكما من نقود.

شهقت هي واتسعت عيناها في غير تصديق، بينما هو تأجج بداخله غضب أكبر وهو يدرك أنه سافر كل تلك المسافة.. وتبع تلك الحمقاء فقط ليتعرض في النهاية على يد أحد بلطجية المدينة..

"للتثبيت!"

***

"اعملي اللي هو عاوزه"

هكذا أمرها.. وهي لم تكن على استعداد للطاعة، رمقته بغيظ.. فالوسيم المدلل فتى الإعلانات لا تليق به

"البلطجة" ولن يوسخ يديه دفاعًا عنها، هذا لو كان بإمكانه حمايتها من الأساس:

- والله!.. أنت شايف كده؟!

منحها نظرة جانبية ساخطة:

- مش وقت عناد يا دارين.. الراجل معاه سلاح.

ومن يتحدثون عنه تململ في وقفته وقاطع حوارهما زاجرًا:

- كفى هذرًا غير مفهوم.. هيا نفذا ما أمرتُ به.

عقدت هي ذراعيها فوق صدرها بتصلب ود لو كسر رأسها بسببه:

- لا.. لن أمنح لصًا ما يخصني.

زم "بلال" شفتيه والرجل يبتسم بسخرية ويجيب بانجليزية محطمة الأحرف:

- ربما يمكنني الحصول عليكِ بالكلية يا جميلة.

شهقت متراجعة خطوة وخيالها يبيح لها كل تصور شنيع ممكن.. ارتجفت شفتاها وتلك الرجفة جعلت الحانق يخطو ليقف أمامها مواجهًا السلاح بصدره:

- تظن نفسك قويًا فقط لأنك تحمل السلاح!.. لمَ لا تلقيه جانبًا وتتعامل معي رجلًا لرجل؟!

والآخر ضحك بملء شدقيه ساخرًا:

- ولِمَ أتخلى عن نقطة قوتي وبها يمكنني الحصول على ما أريد!.. بل وأكثر..

ومن فوق كتفه غمز المختبئة بوقاحة مقززة تراجعت لها خطوة ثانية بينما "بلال" يتقدم نحوه:

- تحدث معي أنا.

- لا.. هي تعجبني.

وأشار بسلاحه يأمره لبيتعد عن طريقه:

- دومًا ما كنت أفضل الصهباوات.

كانت لا تفهم من حديثهما كلمةً، فدرعها الحامي يتحدث بالإيطالية التي لا تفقه منها حرفًا، درعها التي توقن أنه سيسقط مع أول لكمة ويتركها فريسة لذاك اللص الطامع فيما هو أكثر من مجرد نقود!

تراجعت ببطء و"بلال" يحافظ على جذب انتباه الرجل بعيدًا عنها رافضًا التنحي عن طريقه، وجملة أخرى فخطوة وثانية حدثت المواجهة..

في البداية وجَّه همه نحو السلاح ليسقطه من يد الرجل بركلة مباغتة، بعدها بدأت المعركة.. معركة تتضمن قتال شوارع معتاد، لكمات عشوائية، تمزيق ملابس، ضربة هنا وضربة هناك.. وانتهت..

انتهت لصالح فتاها الذي لم يسقط.. بل حماها، وبات منقذها وإن زينت فكه زرقة لكمة!

وجدته يفك حزام سرواله ولم تفهم ما يفعله حتى توجه نحو الساقط أرضًا يقيد يديه خلف ظهره بعنف، يجره من ساقه ويلقيه على مقعد سيارته الخلفي، يلتفت إليها ويأمرها بعصبية:

- اركبي ومن غير ولا كلمة.

حملت ملاحها إحساسًا طفيفًا بالندم تصاعد مع الوقت حد الوصول للذنب رغم عنادها المعروف..

استخدم هو الـ"GPS" الخاص بالسيارة للوصول لأقرب منطقة مأهولة ومنها عادا للفندق بسيارة أجرة أخرى بعد أن ترك الأولى وسائقها مقيدٌ بداخلها ومعه ورقة تفضح ما فعله.. والبقية كانت للمارة.

***

الاعتراف بالحق يتطلب شجاعة، ذاك أمر بديهي..

لكنه كذلك يتطلب تواضعًا، وترْك العناد جانبًا..

تدرك أنها أخطأت كثيرًا بحقه حد الإهانة والاستهانة والتقليل من شأنه، وهو دافع عنها.. وبحياته!

دافع عنها وحماها وهي من كانت تظنه مدللًا لن يتحمل لكمة واحدة فإذا به يعيدها آمنة مطمئنة دون خدش أو حتى سرقة إلى الفندق، ويخبر المنتج المنفذ بما حدث مانحًا إياه رقم السيارة ليتصرف هو ويبلغ السلطات وينتهي الأمر.. بالرجل في قبضة العدالة ودون الدخول في تفاصيل مبهمة انتهى أمره.

تكره أن تكون مخطئة..

وتكره أكثر، أن يكون الحق عند رجل!

لكنه يستحق وهي تمتلك من الشجاعة ما يكفي.. لتعتذر!

طرقت باب غرفته بالفندق في تردد، ثوان وانفتح لتواجهها عيناه الغامضتان، لم يقدم انفعالًا محددًا وصمته أغاظها كأنما ينتظر منها أن تبدأ الحديث وتنهيه:

- ممكن أدخل!

ورغم ضيقه من حديثها السابق فعبثه كاد يطفو على السطح ليتساءل:

- تدخلي أوضة راجل عازب!..

ويتقمص بعدها دور "يوسف بك وهبي" مقلدًا بصوت مجلجل:

- الشرف.. ياللهول!

دار بذهنه ذاك الحوار فارتسمت بسمة داخله لم تطفُ لشفتيه، بل لم ينطق بحرف وهو يتخلى عن شقاوته الفطرية ليجبرها على اعتذار يرى أنها ستقدمه ورغمًا عن أنفها..

أفسح لها لتدخل بخطوات متوترة لا تشبهها، خطوات ثلاث فقط وتوقفت، التفتت تنظر إليه بسكون..

ومجددًا حمقاء هي أن تذهب بقدميها لغرفته!

وأستاذة بفن الحماقة حقًا لكنه يستحق اعتذارًا..

وبينما كانت تواجهه في وقفة مرتبكة لم يرها عليها من قبل، عيناها تطوفان بالمكان هربًا من المرور بطريق عينيه، انقطع التيار الكهربي..

ومع العتمة التي سادت الدنيا وحكمتها وسيطرت على الكون أمام ناظريها؛ وصلت لأذنيه الشهقة..

والتالي..

كان جسدها بين ذراعيه!

فجأة قفزت نحو مكان وقوفه المفترض، اندفعت نحوه ودفعته معها وشهقاتها تتردد في الفراغ الهادئ من حولهما، تتشبث بقميصه في ذعر وتتمتم بوهن جعله يضمها لا إراديًا:

- بلال!!

همس بطمأنة مندهشًا من خوفها المبالغ به:

- أنا هنا.

- فو.. فو.. فوبيا.

- ما تخافيش أنا معاكِ.

- مش.. مش عارفة.. أتنفس.

كانت ترتعش وهو يتفهم ويشعر بالعجز فربت على ظهرها برفق:

- ثواني وهيرجع تاني.. في مولدات احتياطي.

وكان صادقًا.. فلم تكد تنتهي جملته حتى سطعت الأضواء لتجد نفسها تدفعه بجسدها تجاه باب الغرفة وهو يرتكن إليه، تتعلق بقميصه كطفلة مذعورة، بينما يحيطها برفق ويهدهد مخاوفها بنبرة حانية لم تسمعها من أحدهم قبلًا..

تراجعت بارتباك جعله يبتسم وهي تبدي أسفها:

- آسفة..

تنفست بعمق تريح رئتيها المطبقتين بصدرها، وهو لا يدري أكان اعتذارها على ما ألقته على مسامعه اليوم!..

أم على قرب منح ولأول مرة دقات قلبه الصامدة.. رعدة!

المشهد الخامس

اليوم الأخير..

والجولة الخاصة، جوار تنازل تراه اعتذارًا مناسبًا يستحقه هو، وتريده هي!

زيارة لـ"ساحة بلبيشيتو" الشهيرة ومن كنيستها المميزة "سان فرانشيسكو دي باولا" وقبتها الضخمة إلى القصر الملكي والذي هو متحف من نوع آخر لا تستمتع فيه بعبق التاريخ وحسب، بل بنقلة حضارية مختلفة داخل أجنحته الملكية وغرفه العديدة.. وبعدها إلى الحديقة القريبة "ريجيو دي كاسرتا" حيث الإبهار كما يجب أن يكون..

والجولة طالت بوقتها وحملتهما معها إلى خليج نابولي وهناك كانت الفرصة الحقيقية للابتهاج بالطبيعة وبشمسها الدافئة طوال النهار..

ولم ينسَ أن يبهرها الإبهار الأخير وهو يحملها إلى "ساحل أمالفي" ومنه إلى الجزيرة الأشهر "كابري" لينهيا اليوم بمسرح "سان كارلو" أحد أقدم مسارح العالم.. ومشاهدة الفن الراقي الذي اكتشف أنها تحبه رغم عدم ميله هو إليه.. "الأوبرا"..

وبالطبع كأي رجل يجيد قراءة أفكار الأنثى..

ولأن أي أنثى صغيرة كانت أو كبيرة تعشق التسوق، فقد اصطحبها قبل العودة إلى المركز التجاري الأكبر بالمدينة والعائد لعصر النهضة "غاليريا أمبرتو".. لينبهرا معًا بالمكان الذي يُعد أحد أكبر الواجهات السياحية والتجارية بها، وليس لمتعة التسوق فقط؛ بل لتصميمه المذهل مما جعل هاتفها تفرغ بطاريته في النهاية وهي تلتقط الصور!

وختام اليوم طعام العشاء والذي كان البيتزا بالطبع، بعدها اكتفى بأن يعود معها إلى الفندق يظللهما صمت مرهق ناوشت شفتيه خلاله بسمة رمقتها هي بحذر ثم تجاهلتها

تنظر من نافذة السيارة المخصصة لهما تتأمل الشوارع قبل الرحيل..

لم تدرك أن بسمته كانت تسحبه لذكرى وقت أبكر عند الخليج، حيث وقفت تتأمله بإعجاب واضح، وخصلاتها النارية منطلقة بحرية تشاكس وجهها والهواء يتخللها بعبث مما جعلها لوحة فنية جذبت أنظاره تاركة لها هي التمتع بالطبيعة.. فقط لتلتفت إليه فجأة وتقتنص نظرته الشاردة نحوها:

- بتبص لي كده ليه؟!

لمعت عيناه لحظة نبت لها خجل فطري داخلها لكنها أجادت إخفاءه وهو يهمس بتساؤل:

- لو قلت لك مش هتضايقي؟!

اتخذت من صلفها درعًا واقيًا وهي تعيد عينيها للتمتع بمشهد الخليج:

- مادام حاجة هتضايقني بلاش تقول.

حاجبيه تخاصما بين رفع وخفض:

- ما فيش فضول المرأة المعروف حتى!!

لفت رأسها نحوه مرة أخرى:

- أنا مش زي أي حد.

- عارف.

ونبرته المخشوشنة بعاطفة مبهمة جعلتها تعقد حاجبيها، تهرب بناظريها وتستعيد سيرتها الأولى:

- على فكرة.. الاسطوانة دي ما تنفعش معايا.

تلك المرة ابتسم واقترب خطوة:

- اسطوانة!!.. بتتكلمي مصري أحسن مني.

استدارت تواجهه بشموخ:

- لو كلمتك بلهجتي مش هتفهم ولا حرف.

توسعت بسمته بمشاكسة:

- طب قولي حاجة.

- حاجة إيه!

وكاد يتقمص بهاته اللحظة دور "عبد الحليم حافظ" ويردد بشجن:

"قولي حاجة أي حاجة.. قول بحبك.. قول كرهتك.. قول وما يهمكش حاجة"

لكنه عوضًا عن ذلك مط شفتيه وهز كتفيه:

- أي جملة.. بس من غير شتيمة.

ونهاية حديثه كانت استدراكًا سريعًا بانعقاد حاجبين محذرين جعلها تضحك بخفوت فهمس:

- أول مرة أشوفك بتضحكي.

- بتهزر!

- ليا أو معايا أو على حاجة قلتها، ضحكة عفوية يعني.. مش عشان قدام الكاميرا.

الارتباك الذي يسببه لها غير محمود بالمرة، بل تكرهه، وعندما تكره تصبح حادة قاسية.. هو لا يستأهل قسوتها لكنه يداعب تلك المدفونة بأعماقها ويعيد فتح جرح ستصبح بلهاء غبية لو ظنت أن بيده دواؤه!

- ها!

- إيه!

- قولي حاجة.

هزت كتفيها بحيرة:

- مش عارفة.

ضحك بمرح واكتفى بالصمت المنتظر، وهي ابتسمت.. قلبها يخبرها أن السقوط لتلك الهاوية ثانية سيكون مميتاً، عقلها يلقي بإشارات التحذير أمام عينيها، تظلم الصورة

وضحكته التي تداعب أذنها تجذبها للركن الوردي منها على أمل!

- تعرف اللي إنتي un acteur هايل برشا وعندك مستقبل باهي mai!!.. راك ضارب في روحك شويا..

دارت عيناه في محجريهما مدعيًا البلاهة، رمقها بتساؤل غامض.. لوى شفتيه وهز رأسه بابتسامة:

- هو ممكن أكون فهمت!.. بس لأ، أقولك.. انزلي بالترجمة منعا لسوء الفهم.

اتسعت بسمتها وأعادت ما قالته بلهجة مصرية ونبرة ناعمة:

- تعرف إنك ممثل شاطر قوي وليك مستقبل!.. بس مغرور شوية.

خلل شعره بأصابعه وغمزها:

- شاطر ماشي.. مغرور!.. أنتِ عارفة إنه لأ.

"وصلنا"

همستها تستعيده من شروده فالتفت نحوها.. بعدها ترجلا من السيارة وعند باب غرفتها تمتمت بامتنان:

- ميرسي قوي على اليوم اللطيف ده يا بلال..

- طلعت أد الوعد!

ناظرته بحيرة فأردف:

- قلت لك الجولة معايا مختلفة.

بسمة خافتة لمعت بها عيناها دون شفتيها، رمشت لحظة ثم دخلت لغرفتها ولم تدرك هي أنه وقف خلف الباب يتأمله بتساؤل..

ولم يعلم هو أنها استندت لبابها بعدما أغلقته.. شاردة!

***

العودة وأرض الوطن.. وتصوير خارجي!

أنهت "دارين" استعدادتها للمشهد بمقطورتها المجهزة الخاصة، وكان هو يتألق العبث بعينيه..

فالمشهد القادم مفاده قربًا خاصًا للغاية بات يطمح إليه!

خرج من مقطورته ليجدها تغادر خاصتها مبتعدة بخطوات ثابتة.. وعنده لا مانع من بعض المشاكسة التي باتت تتقبلها مؤخرًا أكثر..

"مستعدة للمشهد اللي جاي!!"

تجمدت خطواتها عقب سؤاله الذي حملته إلى أذنيها نبرة عابثة دومًا ما تثير حنقها..

فالسيناريو يقول:

المكان.. طريق سريع.

الوقت.. قرب الغروب حيث ألوان الشفق تصبغ الكون بلون مُحمر حالم مثير للمشاعر..

خاصة مع تمرد ونارية خصلاتها..

والحدث.. قبلة!

البطل سيعلم بهروب حبيبته من المدينة فرارًا من حبها له وضعفها أمامه خاصة وأن ذاك الفرار لا يخدم مخططه الانتقامي الذي يعتمده حتى اللحظة، وبالطبع كأي بطل يحترم نفسه ويحترم عالم الرومانسية الأنيق وشخوصه الخياليين لن يتركها تفعل، بل سيتبعها بسيارته وقيادة جنونية حتى يقطع عليها طريقها بحركة درامية تثير الغبار وتؤجج انفعالات المشاهدين وتقترب بهما معًا من حادث مميت..

يترجل من السيارة ويفتح باب سيارتها بعنف.. يجذبها لتواجهه، يصيح في وجهها متهمًا إياها بالجبن.. ويهزها بقوة بينما هي كعادة النساء مخالفة لكل قواعد القوة التي كانت منهاج حياتها قبله..

تبكي!

ترتجف..

وشفتاها الشهيتان ترتعشان فيمنحهما دفء الأمان بشفتيه في لحظة انفجار عاطفي محموم يليق بخشونته وعنفوانه ووسامته بالطبع!

زفرت بضيق.. يبدو أن بطلها الهمام لم يصله آخر خبر وكم ستنعشها الصدمة على وجهه حينها!..

التفتت إليه، خطواتها المبتعدة تحركت مقتربة منه حتى واجهته تمامًا، وبصلابة باردة رمقته باستهجان:

- هاعذرك لأنك أول مرة تمثل.. مبتدئ يعني، بس بعدين حاول تخليك محترف أكتر من كده..

وكانت ضربة قاسية تحت الحزام تخطاها هو بمكر أزلي ولامبالاة مدعاة بينما يميل برأسه نحوها وعينه تغمزها بشقاوة:

- أوعدك أحاول.

هزت رأسها بيأس ورحلت..

تابع خطوات رحيلها المستقيمة الثابتة ضاربًا كفًا بكف ودمدم من بين أسنانه:

- وربنا البت دي مجنونة..

وفكر لحظة استطرد بعدها بتفكير زاويًا ما بين حاجبيه:

- أو عاوزة تجنني!.. بس على مين يا دارين!

***

الموقف كان سيئًا ومحرِجًا للغاية..

هو بدا بمظهر الأحمق الكسول الذي لم يراجع مشهده قبل تأديته..

وهي كانت شامتة.. تلتمع عيناها بسخرية جوار البرود الذي عاوز الظهور بنظراتها إليه!

عليها اللعنة..

بل على مشاعره المرتبكة..

فالنجمة الساطعة ترفض المشاهد الحميمية.. ولا تقبل بأكثر من ضمة، ضمة لم يستشعرها كسابقتها أبدًا عندما كانت ترتجف خوفًا بين ذراعيه كعصفور أغرقه مطر ليلة عاصفة!

كان ذاك محيرًا!!..

نعم.. حُذف المشهد وأُستبدِل بآخر تبعًا لرغبتها، نعم.. أحاطها بذراعيه قرب قلبه بقوة تناسب الغرض من الموقف السينمائي.. ولكن..

لا.. شعوره بها كان مختلفًا رغم أدائها المحترف!

هي بالفعل تثير جنونه ولا مهرب من الاعتراف أنه ينجذب إليها وإن مانع واعترض وظن أنه محصن ضد مخططات النساء في لعبة الحب..

الحب!

"إيــه.. أنت جاي عشان تقعد سرحان!"

كف شقيقته تحرك أمام عينيه منتزعًا إياه من أفكاره الحائرة، بينما يدها الأخرى تدفع بين يديه بطبق من المكسرات:

- خد.. اتسلى.

رمق الطبق بذهول:

- إيه كل ده يا مونش!.. ده مش تسلية ده افترا.

وكزت ساقه بركلة خفيفة وهي تجاوره فوق أريكة غرفة معيشتها تحاول البحث عن أكثر جلسة مريحة وبطنها المنتفخة تطبق على أنفاسها:

- بيلي.. اتسلى وأنت ساكت.

رفع حاجبًا فاستدركت بغمزة متلاعبة:

- ولا أقولك.. بلاش تسكت، احكي لي.

- أحكي لك على إيه؟!

تناولت حبتي فستق من الطبق بيده وابتسمت بخبث:

- اللي واخد عقلك.

هزأ من أفكارها بضحكة مبتورة:

- لا بجد!!.. عاوزة تعيشي معايا الدور ده!

ومال نحوها يربت على بطنها بخفة:

- عقلي معايا ما تقلقيش.. ركزي أنتِ في مسعود.

تجعدت أنفها بامتعاض تنهره:

- ما تقولش عليه كده.

وتناولت حبة بندق تمضغها باستمتاع حتى كادت تغمض عينيها وهو يناظرها بدهشة:

- وبعدين ما تهربش.. أصلا واضح.

- هو إيه ده يا ميس هولمز!

- اللاااامور يا فنان.

- الإيه يا ختي!

واكتنفه شعور برغبة أصيلة في الردح على الطريقة القديمة وهي تضحك بلؤم:

- مش ناوي تعترف يعني!.. ماشي، بس عامة مش لوحدي اللي ملاحظة ومن ساعة ما رجعت من إيطاليا.

استقام يرحل..

والآن بات يهرب!!

تحرك يشاغبها باستخفاف:

- بكرة مسعود يملا فراغك ده يمكن تحلي عني.

تشبثت بكُمه وهي تسعى للنهوض بصعوبة:

- استنى ما تمشيش.. عمرو زمانه جاي.

التوى جانب فمه بسخرية:

- عشان يكمل التحقيق!.. لا شكرا.

والخطوات أضحت أقرب للركض..

ولم يلحظ أن النبضات كانت تركض جوارها..

تركض هربًا أو.. يقينًا بمرفوض لا يباح مروره عبر متاريس القلب!

المشهد السادس

ليلة خاصة للغاية..

ليلة دومًا تنتهي بغضبها ولا ذنب له.. ففريقها مهزوم وما باليد حيلة!

مباراة نهائية بين فريقيهما..

مباراة قمة بين "الأهلي".. و.. "الزمالك"..

ومشاهدة تتضمن طبقين ضخمين من الفاكهة، العنب الأحمر والتفاح بالأخص..

فطائر الخوخ التي تحضرها بنفسها.. وطبق المكسرات الأزلي، ونوعين من العصير وبالطبع رقائق البطاطس المحمرة.. بموازاة صدمة على ملامح الزوج!

"توتة.. مش كتير كده!"

رفعت حاجبًا وتجاهلت النظر إليه وهي تمدد ساقيها فوق الأريكة:

- ده مش عشانك أصلا.

ضحك بخفوت، وحشر نفسه جوارها عنوة فرمقته بغيظ حول نظرته لأخرى ماكرة بموازاة رفعه لقدميها المتورمتين وإراحتهما فوق فخذيه..

بدأت يداه بعفوية تمسيد مشط إحدى قدميها برقة جعلت ملامح الراحة تظهر على وجهها.. بعدها أهدته بسمة خجول بادلها إياها بحنان..

ثم بدأت المباراة!

وانتهى الشوط الأول..

وبين الشوطين كانت ترغي وتزبد.. تهدد وتتوعد، وتكاد تصرخ غيظًا وحنقًا، بل حتى ركلته بقدمها فأنَّ ينهرها:

- ما تهدي يا توتة.. مش كده يعني.

- أنت مش شايف!

- عادي.

وكأن صاعقة هبطت من السماء واختارت رأسها هي دون الخلق جميعهم لتضربها، تفرق جفناها واعتدلت في جلستها بمباغتة ثم طالعته بسخط:

- عاااادي!!

أعادها لتسترخي بدفعة من يده وربت على قدمها المستريحة فوق ساقه:

- أيوة عادي.. إيه الجديد!.. كل مرة بيخسروا.

- عمروووو.

رفع حاجبًا وهرب من الموقف بإشارة نحو التلفاز:

- الشوط التاني.

وانتبهت.. وعندما انطلقت صافرة نهاية المباراة؛ خسر فريقها..

واشتعلت الحرائق بعينيها بل كادت تنفث النيران وهو يضحك مستمتعًا ويهزأ من ولائها للفريق:

- بيعجبني في المشجعين بتوعكم.. الإخلاص.

ومع جنون هرموناتها ظهرت العصبية على وجهها وركلته بقوة في ساقه:

- ما أنتوا بتاخدوا البطولات بالحكام.

ضحك بمرح عقب تأوه.. كتف ساقيها منعًا لركلة جديدة مفاجئة:

- طب اسمعي النكتة دي.. مرة واحد زملكاوي راح اشترا بطيخة لقاها حمرا؛ رجعها.

وهي تشنجت وحاولت النهوض والضرب واتباع سياسة العض والقرص:

- يا سخيف.

ترك لها حرية الحركة فقط لتستقيم في مواجهته، يجذب يديها فيسقطها بين أحضانه ويحيطها بذراعيه بقوة رقيقة:

- يا مجنونة.. اهدي.

- أنت عاوز تحرق دمي؟!

- يخربيت الحمل على اللي عاوزين يخلفوا.. اهدي بقى.

وتملصت بعنف لاهث:

- لأ.. لأ.. مش هاهدى هه.

لكنها بوغتت بشفتيه تحجبان أنفاسها وهو يثبتها إليه، تدفعه، تهمهم بغيظ، تدمدم بسباب مكبوت خلف قبلته المتحكمة.. تبعد كتفيه ولا فائدة حتى سكنت في النهاية كعادتها أسيرة طوق ضمته..

تراجع برأسه حذرًا يرمقها بتوتر فوجد جسدها يهتز والإيحاء.. بكاء!

"المجنونة!"

- مش معقول هتعيطي!.. ما إحنا كل مرة بنهزر كده.

ضربت كتفه بقبضتها واتهمته:

- لأ.. أنت سخيف وزودتها.

داعب وجنتها بأنفه بدغدغة محببة:

- خلاص ما تزعليش.

- لأ..

- توتة!

- لأ برده.

- وحياة مووري.

- لأ.

وجدته يميل بها فوق الأريكة ويهددها بخبث:

- هتصالحيني ولا...

لكن ردها لم يكن متوقعًا وهي تزم شفتيها حابسة أنين ألم مفاجئ ظهر في نبرتها بينما تنادي باسمه:

- عمرو!

- في إيه!

وكان مندهشًا.. شهقت بوجع والشهقة بعدها تحولت لصرخة بأذنه كادت تفقده حاسة السمع:

- أنا باولد.

ويا لها من نهاية للمباراة الفعلية..

وارتباك مخيف لمن يشعر أنه سقط عنوة في الفخ!

***

بعد يوم شاق العودة لواحة الراحة أمر حتمي.. وأي واحة أفضل من دفء أحضانها!.. وأي راحة أقرب من ضمتها واحتوائها!

دخل للمنزل الصامت بهدوء مريب!

هل نامت مبكرًا وملَّت انتظاره؟!..

يعلم أنه تأخر وكم ود لو لكم "بلال" العنيد في أنفه علَّه يواجه تلك النارية ويصارحها بما يجول بفكره وقلبه فربما يرتاح..

لكنه أصم كحجر أحمق يرفض مجرد الاعتراف أمام نفسه..

تحرك بارتياب نحو غرفة نومهما وهو يفك أزرار قميصه، حتى "ميان" الصغيرة لا صوت لها!.. وأين "مالك"!!

فتح الباب بهدوء ليرى الضوء الخافت الذي يغلف المكان وكانت هي بالفعل تبدو له.. نائمة!

- منى!!.. مش معقول تكوني نمتِ!.. أنا لسه مكلمك من نص ساعة..

جاورها فوق الفراش وهي توليه ظهرها دون رد، اتكأ لمرفقه ومال برأسه يهمس بأذنها بلؤم عابث:

- ما هو لو فاكرة النوم هينقذك؛ تبقي بتحلمي..

مد يده يلامس ذراعها بطريقته الخاصة لكنها ولصدمته دفعتها بعنف، تغضن جبينه وخرج منه السؤال الغبي:

- أنتِ صاحية؟

والمفاجأة التالية أنها نهضت تنزل بقدميها للأرض، لا تمنحه هدية النظر لعينيها العاشقتين، بل وتتهدل أكتافها بوضع شبه بائس زاد من حيرته!

تحرك مقتربًا يربت على ظهرها وقبل أن ينطق كانت تستقيم واقفة تبتعد عن مرماه وتلتفت إليه بنظرة حانقة وصراخ أقرب للسباب:

- أنت السبب.

ارتفع حاجباه انشداهًا.. نهض يتبعها بحركة واحدة والسؤال يتردد على لسانه بلا فهم بل بلهجة أقرب للحدة فهو مرهق واليوم طال بما يكفي:

- في إيه يا منى مالك؟

ونبرتها الدامعة جاورت الجواب بينما توليه ظهرها مجددًا:

- أنت السبب.

أما جسدها فبدأ يهتز في إشارة واضحة لعبرات لا يتحمل مرآها في مقلتيها!

شعر بالعجز وخالطه غضب غير مفهوم!.. هو لا يدري ما بها وهي لا تخبره بل فقط تتهمه!

زم شفتيه لحظة توجه بعدها يحيط كتفيها بكفيه ويديرها إليه:

- في إيه بس.. أنتِ عارفة مش باحب أشوف دموعك!

لكن عيناها العزيزتان لما ترتفعا نحوه، بل رأسها سقط بين كتفيها أكثر وهي تعانق الأرض بناظريها وهزات جسدها تتزايد لحد جعله يضمها بسرعة:

- بس.. بس يا منايا.. أنا آسف طيب.

والهزة تحولت لرعشة كأنها أبت الاستكانة فوق صدره، غادرته وابتعدت وهو لم يترك لها الخيار.. أعادها وبقوة يخبرها أن مسكنها وموطنها هناك بين ذراعيه.. ولا وطن لها غيره حتى لو كانت دموعها خطؤه الذي لا يدري كيف أو متى اقترفه!

- ششششش.. اهدي وفهميني.

وكررت المحاولة وعاند برفض آخر وهذه المرة أقر بحزم حانٍ:

- مش هتبعدي عن حضني وأنتِ عارفة ده كويس.. فهميني مالك.

والآن.. وصله صوتها بما يشبه الضحكة!

هي تضحك؟!

أعادها للخلف وبأنامله حرك ذقنها لتواجهه نظرتها الشقية وبسمتها الواسعة وكفها يرتفع لتحجب شفتيها بينما اللمعة بعينيها تشاغبه بمكر:

- بتضحكي!

ومع ملامحه وعينيه وفمه المفغور باستنكار وبوادر الغضب المكبوت الذي تعرفه حق المعرفة مرسومة هناك بخلفية الصورة تعالت ضحكاتها الناعمة التي تمحو سخطه بلحظة:

- ما هو بصراحة مش قادرة أمثل أكتر من كده!

- تمثلي يا منى!

وتدللت باقتراب وسكون فوق صدره ومداعبة لزر قميصه:

- منى أحمد.

نطقتها بتقرير فقبض على ذراعها بشيء من قوة جعلتها تتأوه بدلال:

- أحمد بتوجعني.

وهو كان مغتاظًا فصاح بحدة متغاضيًا عن دلالها المقصود:

- والله!

أزاحت أصابعه ووضعتها فوق خصرها وعادت تسكن بين ذراعيه بدفء أنثى تجيد اللعب على أوتار رجلها:

- والله..

ورفعت عينيها إليه ترمش بأهدابها بغنج لطيف لا يشبه إلاها:

- وبعدين ما هو أنت السبب فعلًا.

وضغط أسنانه بحنق:

- السبب في إيه بالظبط؟.. مش فاهم!

وعندما لا تتوقع الجواب فربما ينبغي أن ترتدي درعًا واقية من الصدمات..

فحبيبته أمسكت بيده وحركتها قليلًا من خصرها لبطنها وهمست وعيناها تحيطانه بعشق:

- السبب في ده.

- حاااااامل!

- إممممم.

- بجد!

وشاكسته بعينيها:

- هي المواضيع دي فيها هزار!

وكانت تدرك سعادته، بل أمنيته التي دومًا ما كررها، فصغيرتهما "ميان" أتمت عامها الثاني قبل أسبوعين، ومن قبلها بأشهر وهو يلقي بتلميحاته عن طفل آخر..

بل طفلة!

ورجلها يحب الفتيات.. ويخبرها أن الأولى هي عشقهما..

والثانية ستكون نور حياتهما..

ولذلك عندما همس بشرود سعيد:

- نور!

ضمته إليها تقبل وجنته بحب:

- نور.

في اللحظة التالية وجدت نفسها محمولة فوق ذراعيه وصرختها المذعورة تتعالى للمفاجأة بينما يتحرك بها نحو الفراش مدمدمًا بنبرة انتقام بحت:

- ماشي يا منايا.. أنتِ فاكرة لما تقولي لي الخبر هانسى اللي عملتيه!

وضحكت بانشراح وقلبها نبضاته تعلو:

- أحمد يا مجنون.. اعقل ما ينفعش.

ونزل بها برفق تبعته غمزته الشقية الوقحة:

- أوعدك أكون رقيق وحنين و....

- أحمااااد.

وكانت تنهره..

لكن هاتفه لم يتِح فرصة الرد أو لها حق الاعتراض ورنينه يعلو برقم أخيه الذي بادره بصراخ مرتعب فور فتح الخط بينما هو يتأفف بسخط:

- أحمد.. إلحقني.. منة بتولد!

المشهد السابع

كان يصب اللعنات على رؤوس الجميع في وقفته بمنتصف الطريق والسماء تداعب الأرض بقطرات طفيفة تشي بسيل قادم من المطر..

سيارته التي تركها جوار رصيف مبنى الاستوديو كانت مصفدة والداعي "ركن في الممنوع"..

لولا تأخره على اللقاء الهام بأحد برامج "التوك شو" لما ترك مفاتيح أثيرته بين يدي حارس أبله صفها بمكان يمنع فيه الوقوف..

وهي من خلفه كانت تتأمله بخبث والمكر يتألق بعينيها، فالمقلب أو العقاب كان من صنع يديها!

نالت تأنيبًا على مشاكساته وسماحه بالتودد لها وتخطي الحدود معها، ورغم الكتمان والتجاهل وتعمد الرفض فقد

طفا شيء من غيرة على السطح جعلها تتصرف كطفلة وترشو أحد رجال الاستوديو لينقل السيارة إلى مكان مخالف وبطلها الهمام "يلبس"..

علا رنين هاتفه فسحبه سريعًا ووصلها صوته مرتبكًا:

- أيوة يا عمرو.. أنا جاي أهو، العربية اتكلبشت والدنيا بتمطر هاشوف تاكسي.. طب أنت قلت لي أنتوا في أنهي مستشفى!.. تمام ماشي مسافة السكة بس ألاقي تاكسي في المخروبة دي.. سلام.

وزفر بضيق.. ركل حجرًا ونظر للسماء بيأس..

أما هي فسمعت لفظ "المشفى" وتوترت وشعرت بالذنب.. مرور سيارات الأجرة بتلك المنطقة محدود للغاية، وكانت تعتمد على أن يعاني وحده.. لكن..

"بلال!"

التفت إليها بلهفة وبادرها دون تردد:

- دارين.. أنتِ معاك عربيتك مش كده!

هزت رأسها موافقة فجذب يدها يناشدها:

- طيب وصليني بس لأقرب حتة أعرف آخد منها تاكسي.

- خير يا بلال في إيه!

عاوده الارتباك وهو يفكر إن كان هو الأخ ولا يتحمل.. فكيف بالزوج عندما تكون زوجته في حالة مخاض!

القلق قاتل ومخيف..

تمتم بتوتر:

- أختي الصغيرة بتولد.. والعربية متكلبشة.

نبض قلبها.. سبَّت نفسها فلولاها لأمكنه أن يسرع لشقيقته، تحركت خطواتها تسبقه بنداء متعجل:

- طيب يلا.. هاوصلك المستشفى.

جاورها في السيارة رافضًا أن تتأخر أو ترهق نفسها لأجله:

- لا طبعا.. أي حتة بس آخد منها...

- هاوصلك المستشفى.

وأنهت الحديث بحزم وحاجبين معقودين دون إدراك أن عقدة الذنب والندم.. كانا هما عنوان نبرتها التي تتخفى برداء حاسم لا يليق بموقف اصطنعته هي!

***

"cut يا فنان.. هايل.. بس الدور ده قديم قوي"

اللهجة الساخرة ثقبت أذنه بهمس مرح، أدار رأسه لزوج أخته بدهشة وتأمل الإرهاق البادي على ملامحه:

- مالك يا عمرو؟.. أنت بتخرف يا بني؟!.. ولا الولادة أثرت عليك أنت كمان!

ارتكن "عمرو" للجدار بكتفه وأشار بذقنه نحو الحمراء الواقفة بخجل، تحمل الرضيع الصغير تبعًا لعرض أقرب لأمر من أمه التي لم تختفَ عصبيتها بعد:

- لأ.. أنت اللي بتبص لها وعينيك بتقول: عقبال ما تشيلي ابننا.

طالعه صامتًا، لم تكن تلك أفكاره، لكن عندما عاد بعينيه نحوها..

باتت تلك أمنية بالفعل!

وانفلتت من عقال دقاته دقة أخرى مخالفة لنهجه الرتيب، الإنكار لم يعد متاحًا، ورغم جموحها وجنونها وبرودها وتذبذب علاقتها معه إلا أنها فازت وباكتساح..

في لعبة الحب..

"دلوقتِ النظرة اتحولت لشيء لا يجوز ذكره"

وكز "عمرو" بمرفقه في معدته فتأوه وشاكسه بحاجب مرتفع، توجه نحو أخته وانحنى يقبل رأسها:

- طبعا منة بتولد فلازم الدنيا تتهد.. حمد الله على السلامة يا مونش.

استسلمت لقبلته ورفعت عينيها تغمزه:

- مش هتهرب المرة الجاية على فكرة.. كل شيء انكشفن وبان.

ابتسم.. والبسمة في عيني الصغيرة كانت تأكيدًا على يقين تقبله فهمست بأذنه:

- على فكرة تستاهل.. عسولة قوي.

طرق رأسها بقبضته:

- ما تبقيش سطحية.

- باقولك عسولة.. يعني دمها خفيف وحاساها مجنونة زيي، اتجوزها وهنبقى أصحاب.

- أنتِ فعلا مجنونة.

ومع الدهشة التي ارتسمت على وجهه، كان قلبه ينبض..

"اتجوزها!!"

وهل حقًا سيستقر الحر ويسلسل نفسه ولو كان القيد يخص النارية!

أتت من خلفه تناول الوليد لأمه فأقبلت شقيقتها الكبرى تلتقطه برفق وهي تبتسم لها، ربتت على على كف "منة" برقة وتمتمت بتهنئة ودود، وجدته يخبرها بعدها:

- يلا عشان تروحي.. أنتِ فضلتِ معانا طول الليل، بس نتغدى الأول.

استدارت إليه رافضة:

- لأ.. أنا لازم أمشي دلوقتِ، هابلغهم نلغي التصوير النهاردة.. مبروك.

وتحركت راحلة فهز رأسه لأخته وتبعها دون أن يصر عليها:

- طيب استني.. هاوصلك لبرا.

صمتت تتقبل عرضه، ولا يزال الذنب يغمرها، لا تدري لو صارحته بفعلتها سيسامحها أم يغضب!

هي معه مختلفة..

ورغم أن الاختلاف يناوش مشاعرها..

فتلك المشاعر غير مقبولة.. هي محض فوضى تسبب لها الهلع دون ترتيب!

عند الباب قابلا "أحمد" فابتسم محييًا وبادره "بلال" بإشارة مبهمة:

- هاوصل دارين لعربيتها وراجع.

والآخر رد بسرعة:

- هاوصلها أنا.. كده كده مروح، خليك مع منة.

تردد غشيٌّ ملامحه ومن نظرة أدرك "أحمد" ما يعنيه ذاك.. قرر مشاغبته واللعب على وتر يصر هو على لحنه الصامت والعاشق القديم يريد دفعه نحو الجهر بنغمة شاذة منه قهرت هدوءه لكنه لا يبغي الاعتراف..

- ادخل لها أنت..

والتفت نحو الساهمة بشرود غير مبرر:

- يلا بينا!

تعلقت عيناها بغمازته الوحيدة وابتسامته الدافئة فأومأت:

- أوك.. حمد الله على سلامة منة يا بلال.. هاشوفك في اللوكيشن بكرة بإذن الله.

ولم يمتلك سلطة المنع..

هو حرم نفسه ذاك الحق برفض الاعتراف أو المواجهة..

وإن أراد أن يحوز الملكية؛ فعليه أولًا أن يبادر ويصدح بما يشعر.. يهاجم مشاعرها التي يريد الاستحواذ عليها، بل على قلبها وروحها..

لا.. هي بالكلية، وبكل ما تشمله أحرف كلمة "الامتلاك" من معنى!

***

في اليوم التالي كان اللقاء مع الوجه البارد منها..

ويوقن هو أنه بات مجنونًا بالفعل وفقد صوابه، هي نجحت في مهمة تحويله لمخبول بجدارة!

قبل المشهد بالكاد تبادلت معه عدة كلمات، ورَد الشكر منه وتعبير الامتنان على وجودها إلى جواره وتهنئة شقيقته التي سُعِدت بحضورها كان ابتسامة باهتة وهزة رأس صامتة وابتعاد!

كلما قرر أن الاعتراف لا بديل عنه..

تأتي ببرودها لتطفئ نار قلبه التي تشتعل لأجلها هي فقط!

شارف التصوير على الانتهاء.. ربما أقل من شهر، واليوم مشهد جديد يثق أنها ستؤديه باحترافية رغم مهارتها المعتادة..

البطلة تتقمص دور البرود والغرور الرافض، ترفض الاستسلام لمشاعرها، وتطرد البطل من حياتها بعدما سقط كأحمق -لا يليق بحماقته سوى رواية رومانسية- في هواها..

"Action"

صاح بها المخرج، دارت الكاميرات.. وتواجها:

- أنتِ فاكرة إن الهروب حل!

ولّته ظهرها تمارس فن الفرار بكل أشكاله:

- ما تديش الموقف أكبر من حجمه.. المشاعر اللي بتتكلم عنها مجرد وهم صورهولك غرورك..

- وهربتِ ليه آخر مرة!.. ورجعتِ ليه!

واقترب يحيط كتفيها بكفيه:

- محتارة ليه!.. خايفة من إيه!

احتدت تتوارى خلف صورتها العصبية كرد فعل دفاعي مباح:

- خايفة!.. لا.. ديالا عز الدين ما بتخافش، وأنت عارف كده كويس..

- يبقى تواجهي.. تعترفي.

قاطعته محتدة ساخطة:

- أعترف بوهم في خيالك!

أدارها لتواجه عينيه العاشقتين.. وبان العشق فيهما طبيعيًا لدرجة أربكتها حقيقةً لا مجازًا:

- لأ.. تعترفي بمشاعر أقوى مننا إحنا الاتنين مهما رفضنا أو هربنا أو حتى استخفينا بيها.

فتحت فمها لترد والمقاطعة التالية لم تكن منه..

بل انقطاع مباغت للتيار الكهربي ساد بعده الظلام!

ابتسم بعبث وهو يوقن أنها في الثانية التالية ستكون بين ذراعيه كما سبق وحدث..

عصبية "مجدي" وصلتهما وهو يصيح بمساعديه:

- إيه التسيب ده!.. حصل إيه؟

أتاه الرد من بعيد:

- عطل يا ريس.. بنصلحه أهو.

طالت الثوان وهي في العتمة على وقفتها الجامدة، وهو توقعه فَتَرَ وابتسامته تلاشت ووُلِد محلُها انعقاد حاجبين حائرين!

هل شُفِيَت من مرضها فجأة!

"دارين!"

همس باسمها وردها كان بصوت قوي دون رجفة:

- أيوة!

لم يجد ما يقوله والحيرة تغرقه في دواماتها.. عادت الأضواء، استقامت بشموخ في وقفتها، والمخرج يهتف مجددًا:

- يلا.. هنعيد المشهد تاني.

شروده أثر على أدائه فأعيد المشهد ثلاث مرات أخرى نالته خلالها نظراتها المستهجنة شبه الساخرة، وهو بعد انتهاء التصوير قرر أن يفهم!

بل قرر كشف كل الأوراق وليكن ما يكون..

تبع خطواتها المتعجلة كعادتها نحو غرفتها، أوقفه أحدهم بحوار قصير تخطاه سريعًا وذهب إليها، وجدها تخرج من الغرفة، ترتدي معطفًا داكنًا طويلًا..

بيدها وشاح يماثله لونًا تلفه حول خصلاتها النارية المعقوصة بصرامة..

وتتحرك بهرولة ناحية باب خروج خلفي!

الغموض.. المشهد.. الاختباء.. والتنكر!

ماهذا!

هل سقط بفيلم سخيف عن الجاسوسية!

تبعها والفضول ينهشه، عبرت الشارع أمام المبنى، وهناك كانت في انتظارها سيارة دفع رباعي سوداء، يستند لمقدمتها رجل يرتدي منظارًا طبيًا أنيقًا، وقبل أن تصل إليه كان باب السيارة الخلفي يُفتح ويهبط منه صغير تعثرت خطواته الراكضة وصولًا إليها لتتلقاه بين أحضانها..

تحمله!

تقبله بحب!

الرجل يجذبها لمقعدها الذي يجاور مقعد السائق، واحتله هو بعد ثوان تبعها ميله نحوها كأنما.. يقبلها!

والطفل فوق قدميها تضمه بحنان.. أم!

واللعنة..

كم كان أحمقًا أعمى!!

المشهد الثامن

البعض يسهل عليهم الخداع.. يستمتعون بالكذب، يسخرون بداخلهم من الحمقى الذين يصدقون كذباتهم بعفوية لا تجوز في زمن.. الغش فيه هو الوسيلة والغاية!

جلس شاردًا بين زوج أخته وأخيه في أحد المقاهي الهادئة، أمامه كوبًا من القهوة الباردة، ونظراته مشتتة تائهة.. بخلفيتها غضب غير مصرح بالبوح به..

لقد كذبت عليه..

بكل بساطة كذبت، وبكل غباء صدق!

وعند البعض، المرواغة والتحايل أسلوب حياة..

أسلوب رخيص يناسبهم دون غيرهم..

"بلال.. قلنا لك قبل كده صارحها وأنت اللي فضلت تنكر"

أتته مواسية من "أحمد" فالتفت إليه بعينين حادتين قاسيتين:

- وهي المصارحة كانت هتفرق!.. دي بتكدب على الكل.

- أنت ما اتأكدتش لسه.. وما تعرفش مين ده!

اعتدل في مقعده وتسللت العصبية لنبرته المستنكرة:

- أنا مش محتاج دليل عشان أعرف إنه جوزها وده ابنها!.. ده كان.. كان

وكاد يذكر القبلة!..

زم شفتيه ثم زفر وتعانق جفناه لحظة تفرقا بعدها عن غضب صريح:

- متجوزة ومخلفة ومخبية.. عشان كده كانت خايفة من موضوع الدعاية واقتراح المنتج.

وضرب الطاولة بيده:

- وماله.. حياتها الخاصة وهي حرة، بس.. كان لازم..

وعاد يبتر كلماته:

- هه.. أنا اللي كنت زي الأغبيا ووقعت في...

تمتم "عمرو" عقب صمته المكرر عن جملة لا يجوز لها اكتمال حين الألم:

- حبيتها.

لم يسأل، بل كان يقرر ويحدد المصير، ومع النظرة التي تقابلت مع نظرته المهتمة أردف:

- هي بينت لك أي مشاعر!

تحركت رأسه بحدة وتاه عنه الجواب..

هي لم تظهر أي رغبة في القرب، لكنها قبلت غزله وتودده!

هي لم تعترف بشيء، لكنها رأت بعينيه ما بقلبه ولم تعارض!

هي بين ذراعيه منحته شعورًا لم يمر به من قبل!.. وإن اختلف من مرة لأخرى ولا يدري كيف!

وتدخل "أحمد" يقاطع أفكاره بتفهم:

- مادام ما صرحتش بحاجة.. يبقى ما فيش وعود، ويبقى مش من حقك تعاتب.

- أنت بتقول إيه يا أحمد!

كانت منه شبه زاعقة، والصديق ربت على كفه برفق:

- باقول الواقع والمنطقي يا بلال.. لا أنت صرحت، ولا هي بينت لك مشاعر.. لو عاوز تلوم حد في الموقف ده لوم سكوتك..

ناظره باستنكار فأكمل بهزة كتف:

- يمكن لو صرحت من وقت ما بدأت مشاعرك تتحرك ناحيتها؛ كانت النقط اتحطت على الحروف وكل واحد عرف هو واقف فين ومكانته إيه عند التاني!

ومال نحوه برأسه يواجهه بنظرة قوية مراعية:

- بس أنت أنكرت، وسكت ورفضت ووقت ما حبيت تصرح ولقيت إنه يناسبك خلاص؛ اكتشفت إنك مجرد طرف تالت..

تراجع في مقعده ثانية ينهي حديثه بتقرير:

- في مواقف بتحتاج رد فعل قاطع من البداية، عشان تقف على أرض صلبة وتقلل حجم الخسارة على أد ما تقدر.

وأدرك صدقه..

هو تأخر..

وهي لم تعد بشيء وإن تباسطت معه مرة فبالمقابل كان البرود هو وجه التعامل مرات..

لكن..

ودقق في تفاصيل صغيرة!

هناك شيء ما ناقص، وأحجية الحب ليست صعبة على من يمتلك منها بعض القطع، وفقط ينقصه أخرى..

سيصل لما يريد، يفهم ويعرف..

وربما يواجه علَّه يرتاح!

***

"نادين!"

وصلتها الهمسة باسمها فرقعت عينيها الشاردتين نحو توأمتها..

من أقرب منها ليفهم ويشعر ويقدر!

من أحن ليهدهد ويربت ويسكن مواطن الوجع!

ومن غيرها لا تحتاج لتصريح لتدرك أن شقيقتها الجامحة عاشقة!

جاورتها فوق فراشها وابتسمت برفق:

- أنتِ مش مجبرة تكملي في الدور ده.

بسمتها وُلدت كسيرة بها شجن لامس قلب "دارين" فانقبض:

- ده تمن غلطة ومش هاتهرب من دفعه..

واجهتها في جلستها بقوة:

- عقد الاحتكار انتهى من سنتين يا نادين، ومش معنى إنك زورتِ إمضتي عليه إنك تبقي مديونة ليا الباقي من عمرك وتعيشي في دور مش دورك..

وأكملت بهزة رأس رافضة:

- تعيشي في الضل، من غير وجود.. تلغي قلبك ومشاعرك عشان تعوضيني حاجة انتهت خلاص.

ارتجفت الشفاه المنكسرة وشكلت قوسًا حزينًا بريئًا:

- أنا مش هاسمح لمشاعري إنها تتحكم فيا تاني يا دارين.. خسرت بسببها مرة، وما عنديش استعداد ولا غبية كفاية عشان أكرر الخسارة.

- بس بلال...

- دارين من فضلك.. ده موضوع منتهي.

تهدل كتفا توأمتها بضيق يائس، نهضت تغادر غرفتها وتتوجه نحو غرفة صغيرها، اطمأنت عليه وانحنت تطبع قبلة حنون فوق جبينه لتجد كفي زوجها تحيطان بخصرها وتجذبانها قربه وهمساته تدنو من أذنها:

- محتاجين نتكلم.

استدارت بين يديه فتأمل ملامحها الحزينة لحظة تحرك بعدها يجذبها خلفه نحو حجرة نومهما، هناك أجلسها أمامه وبادر بالحديث:

- نادين بتغلط غلطة كبيرة.

- عارفة.

ومطت شفتيها ببؤس مستسلم:

- مش المفروض تسكتي.. حاولي تقنعيها، كان دور وانتهى ودين أنتِ نفسك رفضتِ إنها تتحمله.

هزت رأسها بلا اقتناع:

- هي عارفة إن أنا ماكنتش أد العالم ده..

- بس ده مش مبرر إنها تتلاشى في ضلك للأبد.

واقترب يربت على يدها ويحتويها بين كفيه:

- من حقها تعيش وتحب وتشوف النور.. هي مش انعكاس لصورة الفنانة اللامعة ولا مجرد واجهة بتعرف تتكلم وموهوبة قدام كاميرات التوك شو، هي أختك.. وبتحب، شجعيها.

- ياسر.. أنا..

- من حقها يا دارين.. وأظن أنا..

وأدار رأسه يزفر بضيق تتفهمه، عاد إليها بعينيه:

- أنا كمان من حقي أقول كفاية.

والقرار كان يتلاعب بعقلها منذ فترة وهو يعلم، هي تستهلك حياة أختها دون رحمة حتى وإن كانت الأخرى تفعلها بإرادتها..

نعم أذنبت بحقها فيما مضى عندما رآها أحد مالكي شركات الإنتاج الشهيرة بموطنها الأم، أعجبته هيئتها ولا تدري لما وافقت وقتها على إجراء تجربة تصوير خلبت لبه خلالها.. عرض عليها بعدها عقد احتكار لمدة خمس سنوات..

وهي للمفاجأة رفضت!

وتوأمتها الفرس الجموح لم يعجبها رفضها، ظنت أنها مخبولة لترفض الدخول لعالم النجومية والسينما من أوسع

أبوابه لتغوص في رحابته وتسيطر؛ فزورت توقيعها على العقد..

بعدها كان الخروج من المعضلة شبه مستحيل فحمَّلت شقيقتها ذنب القيد..

حتى قابلت زوجها!

سقطت في هواه منذ اللحظة الأولى، ومنه تعرفت إلى صديقه والذي بات صديقها المخرج "مجدي عبد الجليل".. انبهر هو الآخر بموهبتها، واندهش من مقدار خجلها فيما خلف الكاميرات..

الرفض الدائم للمقابلات الصحفية.. البرامج والاستضافات التلفزيونية.. ورفض أية تصريحات تخص حياتها الخاصة..

حتى كان ذلك اللقاء الذي أجبرها عليه منتجها وهي كانت تختفي بمزرعة زوجها التي تبعد عن العاصمة بأكثر من ساعتين بالسيارة..

تختفي لأن بطنها منتفخ بصغيرها عندما قررت حجبه وحجب كل ما يخصها عن عالم الأضواء غير المبهرة بعينيها، وحان رد الدين..

توأمتها المجهولة قليلة الظهور المجروحة والتي تبعتها لأرض "مصر" بعد علاقة حب فاشلة مع رجل مخادع؛ تطوعت للقيام بالدور..

وللمفاجأة نجحت..

أحبتها الكاميرا وعشقها الجمهور.. وتضاعفت نسبه متابعيها، بل هي نفسها عشقت الدور!

وباتت الفنانة.. نسختان..

نسخة تتعامل مع الجميع بصلف واضعة الحدود بينها وبين كل من يحاول التدخل بحياتها، تعمل وتمثل وتبهر مشاهديها في أفلامها..

ونسخة تشع طاقة وحيوية، لها كاريزما غير عادية، معروف عنها عداوتها للجنس الخشن، وتبهر متابعيها أيضًا.. لكن في برامجها الحوارية ولقاءاتها الصحفية، بل حتى في الحفلات ولقاءات زملاء العمل..

واستمرت في تقييد نفسها تسديدًا لدين قيد وضعته هي حول عنق توأمتها..

استمرت حتى اختنقت..

استمرت حتى عشقت..

استمرت حتى باتت الفكرة أشبه بسلك شائك حول قلب يحاول النبض، ومحروم هو من ذاك الحق!

المشهد التاسع

وكعادتها كلما احتاجت للراحة أو الحديث، هاتفت الصديق المشترك..

وبمنزله بعدما تركتهما زوجته لتعد لها مشروبها المفضل ابتدأها:

- عاوزة تقولي كفاية يا نادين!

رفعت إليه عينين حزينتين، هو يفهمها وتوأمتها للغاية، لا أحد يجاريه في ذلك.. ورغم فارق السن بينهما والذي لا يسمح إلا أنها أحيانًا تستشعر فيه أبوة حرُمت منها طفلة!

- بتحبيه!

لم يباغتها السؤال..

فقط أوجعها..

كانت أقسمت قبل رحيلها عن وطنها متتبعة شقيقتها، بعد انكسار أصاب القلب والروح بوهن وشرخ ظنت أن شيئًا لن يجبره.. أقسمت أنها لن تأمن لرجل.. لن تسقط في هوى واحد آخر..

مخادع كاذب يستغل باسم الحب أنثى عطشى للاهتمام..

لتجد أنها في نهاية قصة لم يكن ينبغي من البداية دخولها.. قصة لا تخصها، بل تخص الحبيب الخائن وأخرى!

أخرى هي زوجته ومن قبل أن يلتقيها، فقط ليمثل عليها دور العاشق وبصدفة أو ربما تخطيط قدر تنكشف الكذبة قبل خسارة غير محتملة..

- لو بتحبيه؛ صارحيه.

أخبرها "مجدي" الصادق المباشر دومًا بحزم ليعيدها من ماضيها، في البداية كان هو من رفض أن تحل محل

شقيقتها في عملها، ثم خضع مضطرًا عندما أصرت هي.. وكم من مرة حثها لتتراجع وتختار حياتها الخاصة لتحياها كما تريد..

لكنها هي من اختارت الظل!

- ولو صارحته هيقبل!

سألت بشرود بائس:

- لو بيحبك هيفهم.

- هيفهم إني خدعته وكدبت عليه!

زعقت بوجع، ونهضت تجول في الغرفة بتيه:

- هيفهم إني غشيته واستغفلته واستهنت بمشاعره رغم إنه ما صرحش بيها!

استقام يوقف اندفاعاتها المشتتة بربتة كتف:

- هيفهم الموقف اللي اضطرك تكوني مكان دارين.. هيقدر ويعاتب ويمكن يغضب، بس هيكمل.

قوتها الواهية المدعاة أضعفها قلب مشاكس عنيد لم يستجِبِ لكبت جنونه، أوهنها بمشاعر ليست من حقه ولا من حقها، يأمل في حياة تراها منالًا بعيدًا غير مقبول:

- ولو كمل؛ هيقبل بنسخة مشوهة مالهاش وجود رسمي!

- نادين.. ما تقوليش كده.

هزت رأسها يائسة وأمسكت بحقيبتها تنوي الرحيل:

- ما فيش غير كده.. أنا كدبت كدبة، عشت سنين في كدبة، وأوان التراجع فيها فات.

- نااااادين.

ناداها وهربت..

باتت تجيد الهروب كما تجيد التنفس..

وبات الوجع هو النديم الجديد..

***

تؤدي دورها أمامه بإتقان..

إتقان من يجيد الكذب خلال يومه فلمَ سيكون صعبًا أمام كاميرا!

تلك الباردة ذات العين الحادة..

ووجهها الآخر الجامح ذا العين الغاضبة المشاكسة..

تلك التي تفقد قلبه نبضاته دون رادع، وبكذبة لم يعد يباح تجاهلها..

بقيت أيام فقط وينتهي العمل، في الفترة الماضية كان يتجنب لقاءها، ورغم صمتها لكن "دارين" ساورها شك..

أتراه أدرك ما خفي!

أم أنها كانت فورة مشاعر وانتهت!

توجهت نحو غرفتها، استعدت للرحيل المتعجل ككل يوم، وجدت توأمتها بانتظارها فأخبرتها:

- معلش جبتك بدري النهاردة.. التيم عاملين حفلة صغيرة عشان قربنا نخلص تصوير وأنتِ عارفة...

قاطعتها بتفهم هادئ غير مبال:

- عارفة.. ولا يهمك.. البسي أنتِ وروحي، ياسر برا.

أومأت موافقة، ارتدت ثيابها وأخفت وجهها وخصلاتها الواضحة بوشاح طويل، غادرت وتركت "نادين" تجلس مكانها بشرود..

هي لم تره منذ أيام..

العمل كان على أوجه، والتصوير في مراحله الأخيرة، وجودها لم يكن له داع، ولقاءاتها بالأصدقاء أو حفلاتهم شبه معدومة..

نقرة على بابها أخرجتها من شرودها فأمرت بالدخول.. ولم تكن تتوقع أن تراه!

وقف أمامها ويديه في جيبه، يتأمل ملامحها وشعرها الهائج كموجات من نار، نظرتها المستغربة نحوه وتلك الخطوط التي جاورت شفتيها عندما افتعلت بسمة باهتة:

- هتمشوا خلاص!

صمت.. وصمته مريب أقلقها، مط شفتيه بعدها وهز رأسه مشيرًا لما خلف ظهره:

- لسه شوية.. كنت عاوز أتكلم معاكِ.

استقامت تواجهه:

- خير يا بلال!

وتناديه باسمه مجردًا!

تلك نقرة..

تبتسم وفي عينيها حزن..

نقرة أخرى!

تتوتر، تحتد.. تنظر بحيرة، ويقسم أن نظرتها نحوه مختلفة!

- خير ما تقلقيش.

نظر في ساعته لحظة ثم ابتسم، وقبل أن تلمح بسمته غير المفهومة كان انقطاع التيار الكهربي الثالث..

والمفتعل!

سكون دام ثانية واحدة.. بعدها تعاقبت شهقاتها وهي تتحرك بتخبط في الظلمة، تناديه بصوت أبح ضائع.. وهو ابتعد عن متناول يديها اللتين تتلمسان طريقها إليه..

ثانيتان..

عشر..

عشرون..

والنداء العشرون أيضًا وهو صامت..

تلاحقت أنفاسها، أصوات مبهمة تأتيها من خارج المكان لكن قدماها لا تسعفانها في الوصول للباب.. والواقف بجمود تنحى تاركًا للظلام إكمال اللعبة..

إكمال الخدعة!

- بلـ.. بلا..

ولم تكمل النداء الأخير، بل ما وصله كان صوت ارتطام جسدها بالأرض!

انعقد حاجباه وأنار شاشة هاتفه ليجدها متكومة على بعد ثلاث خطوات منه، ركض نحوها ورفعها بين ذراعيه، حملها للأريكة العريضة التي كانت تجلس فوقها قبل قليل وأجرى اتصالًا سريعًا:

- رجع النور.. كفاية كده.

أقل من دقيقة وسطعت الأضواء، وهي كانت شاحبة كالموتى.. جسدها الساكن في إغماءة مؤقتة بارد للغاية.. وسبَّه قلبه الأبله!

لامس وجنتها بربتة حانية.. همس باسمها وكرر النداء، بلل يده من قارورة مياه وجدها ومسح بها وجهها وشفتيها البيضاوين:

- دارين!!..

وكاد يلعن.. أهذا اسمها حقًا!

أخيرًا فتحت عينيها، شهقت بقوة تستعيد أنفاسها المهدورة، وتتشبث بكفه:

- بلال.. أنت سيبتني ومشيت!

تأمل يدها الصغيرة وعاد بعينيه إليها، نهض يستقيم ويضع نفسه في خانة المحقق والقاضي وربما الجلاد..

الكذبة لم تكن واحدة..

بل هي سلسلة من الأكاذيب والخداع والأوهام..

وهو سار في طريقها يصدق الواحدة تلو الأخرى بغباء منقطع النظير!

- أنتِ مين!

انفرج جفناها بصدمة جعلته يرفع حاجبًا هازئًا:

- أنا مش غبي للدرجة دي.

اعتدلت جالسة.. هل تصارح!

أم تهرب!

هي تجيد الهرب، تجيده حد القسوة ربما:

- مش فاهمة قصدك.. بتتكلم عن إيه!

جذب ذراعها ليوقفها في مواجهته، العشق منحه الحق ليكون حادًا هجوميًا فظًا، والألم أهداه طريقة الوصول:

- كفاية كذب.. أنتِ مين!.. دارين ولا واحدة تانية!

ونفض يدها بعنف:

- ولا دارين دي أصلا اتنين!

ثم دار في المكان فاقدًا لرشده:

- واحدة عاملة زي لوح التلج، والتانية بركان!

والتفت نحوها يرمقها بعين غاضبة:

- واحدة حركت مشاعري والتانية.. التانية ولا حاجة!

هجومه أضعفها وكم تكره الضعف..

هو صادق وهي تعلم، على حق ولا دفاع تمتلكه، لكن لو كان أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم.. فالأأمن قد يكون منحدرًا ملتويًا لا يسهل الوصول منه أو إليه!

- أنت بتتكلم عن إيه!

وهاجمت.. أليس الهجوم هو خير وسيلة للدفاع!

- أنت اتجننت يا بلال؟.. ولا عشان اتساهلت معاك فاكر إننا بقينا أصحاب وطالع لي بحكاية عجيبة تقولي فيها أنتِ مين!

ولم تتوقع رده..

لقد صفق بإيقاع بطيء، وملامحه انتشت بإعجاب خالطه وجع سافِر لم يخفِه اصطناع الغضب:

- لا برافو.. بجد برافو، كملي كدب.. الحقيقة أنتِ أستاذة.

- أنت.. أنت..

تلعثمت فهاجم هو تلك المرة:

- أنا إيه!.. واحدة عندها فوبيا بتترعب من الضلمة لدرجة الإغماء والتانية ولا حاجة!.. واحدة باشوف في عينيها كلام كتير وباحس معاها إني مختلف، وguess what!!.. برده التانية ولا حاجة!

تقدم خطوة كان وجهه بعدها قبالة وجهها يزعق بها:

- أنتِ مين!

- نااادين.

صرختها كأنما تتخلص من حمل أثقل روحها حتى كادت تفقد أثر الحياة بها..

صرختها ليتراجع خطوة في صدمة رغم التوقع واليقين!

بعدها اعتدل وصمت.. وحان وقتها هي لتتحدث:

- نادين.. توأمها، ضلها.. مش هتفرق.

لامتها عيناه، ونبرته خدشت مسامعها مجروحة:

- وكنتِ ناوية تقولي لي إمتى!!.. كنتِ هتقولي من الأساس ولا ده برده مشهد محذوف؟..

كان غاضبًا وهو على حق..

مستاءً..

حانقًا..

وبعينيه ارتسم ألم أدركت أنها سببه، لكن الخيار لم يكن أبدًا بيدها!

تجيد حذف ما لا تريد من حياتها كما تجيد شقيقتها حذف المشاهد غير المرغوبة من سيناريوهات أفلامها..

وتبرر بغباء منقطع النظير لا يدري أهو بها طبع!.. أم لا يظهر إلا معه!

- أنا ما وعدتكش بحاجة ولا صرحت لك بأي مشاعر.

ولأنها حمقاء وهو مجروح وبداخله هاتف يخبره صراحة أنه "مغفل".. صمت وهي توليه ظهرها، تهرب كعادتها من لقاء عينيه..

مع طول صمته التفتت برأسها ففاجئها بهمس جَبَّر كسره بصلابة:

- في وعود مش لازم ينطقها اللسان، في مشاعر مش لازم نعلنها على الملأ.. يكفي فيها نظرة عين، أو حتى إحساسي بيكِ في حضني.

ارتجفت شفتاها وتنهد هو..

عقله يخبره أنها تتقن حذف ما تراه لا يناسبها، ودون أن يطرف لها جفن..

تنهد يمنحها نظرة أخيرة قصمت قلبها.. ورحل!

المشهد الختامي

"النجمة اللامعة بعد انتهاء تصوير آخر أعمالها تعلن اعتزالها المجال الفني.. وللأبد"

خبر جديد أقام الدنيا بالوسط..

"دارين نصار" قررت أن تستقر بحياتها الأسرية الخاصة غير المعلن عنها والتي تفضلها على عالم النجومية.. عالمًا لم تختره منذ البداية بل أبت أن تخوض دروبه، وعندما أُجبرت دفعت توأمتها الثمن حتى قررت هي أن تمنحها وتمنح نفسها حريتها من أسر مبهر يطلقون عليه اسمًا جذابًا..

"شخصية عامة مشهورة"..

ومن يهتم إن كانت حياة شقيقتها ظلًا لحياتها!

من يهتم إن فقدت من تحب لأنها كذبت وهو لم يسامح!

من يهتم!

هي تهتم.. تتألم لألمها.. تخاف لخوفها.. وتخشى عليها، لذا قررت الاعتزال، والثانية قررت الرحيل، ومن أكثر احتضانا لها من أرض وطن غادرته بوجع..

وعادت إليه بوجع جديد!

"دارين"

صوته الرخيم أتاها بهدوء، حفل العرض الخاص الأول للفيلم.. واللقاء بينهما دون الحبيبة المشتركة، مجبرة هي على الحضور وتأدية دور لا تتقنه..

لكنه دورها الأخير.. فلا مانع..

- هي فين!

اكتفت من المراوغة فقررت أن تكشف أوراقها كما فعل هو:

- يهمك قوي تعرف!

كرر السؤال لكن عينيه أعلنتا الاهتمام.. بل صدحتا بسقوط مدوٍ في هاوية عشق لا نجاة منه:

- أنت حتى ما اهتميتش تعرف الحقيقة ولا الأسباب.

- هي رفضت تتكلم.. كانت بتهاجمني وبس.

- وأنت ما أصريتش.. استسلمت وسيبتها ومشيت.

- حق وجعي.

- هي كمان اتوجعت.. مش سهل تكدب على حد بتحـ...

بترت كلمتها وهو فهم، حملت نبرته شيئًا من توسل تلك المرة:

- هي فين!

ابتسمت وقلدت نظرة أختها المتحدية:

- وليه ما أكونش أنا هي!

بادلها البسمة بأخرى شاردة في قطع أحجية كان فهمها سهلًا بعد اكتمال الصورة:

- هي فيها تفاصيل تخصني أنا وبس.

لمست كلماته قلبها فتحولت البسمة لعطف:

- هتروح لها!

رد بموافقة صامتة فهمست بود تمنحه جواب الراحة:

- سافرت..

***

"تونس- ولاية نابل- مدينة قربص"

سفر متواصل وتحركات مستمرة منذ حطت طائرته بالمطار..

وخريطة رسمتها شقيقتها لتخبره عن بقعتها المفضلة التي سيجدها بها حتمًا وصدقت!

وقف على المنحدر المنخفض يطالعها من مسافة ليست بالبعيدة، تطفو أمامها المراكب الصغيرة والموجات الناعمة تدفعها ذهابًا وإيابًا بحرية..

دون قيود أو حواجز..

خصلاتها تتطاير مع الهواء بجنون لطالما أجج مشاعره، تُكتف ذراعيها وعيناها شاردتان في الأفق البعيد..

خطا خلفها بهدوء حتى توقف على بعد أنفاس وهمس بأذنها..

"فنانة في الهرب"

شهقت واستدارت بسرعة، كادت تسقط على الشاطئ الصخري فمد يده يحيط خصرها والأخرى تمسكت بساعدها، أعادها لوقفتها المعتدلة لكنه لم يحررها..

صدمتها ألجمتها فتيبست بمكانها عيناها متعلقتان بعينيه..

يداها فوق صدره النابض بهدير يعلن ما لا ينطقه اللسان..

وموجاتها الحمراء تلامس وجهه وتكاد تخفي وجهها..

"وحشتيني"

البسمة كانت منه قبولًا واعترافًا بمشاعر طال السكوت عنها، والبسمة منها كانت أملًا يتمنى العشق ويخافه!

- أنت جيت إزاي!

عبثه تغلب على حالمية اللحظة فتحولت البسمة لماكرة:

- دارين رسمت لي خريطة.

تسارعت أنفاسها تكاد لا تصدق أنه هنا!

ميله نحوها جمدها أكثر وهو يهمس:

- جيت عشان نادين.. جيت وما عنديش فكرة عن تفاصيل الماضي ولا ليه وإزاي!..

وحرر ساعدها ليزيح خصلاتها عن وجهها بأنامله بحثًا عن تيه عينيها:

- جيت عشانك وبس.. وقت ما تكوني جاهزة تحكي لي؛ هاسمع.

شردت فيه أكثر وهو يردف بنظرة عشق خالصة:

- ولو مش عاوز تتكلمي في إمبارح؛ يكفيني معاكِ النهاردة وبكرة واللي جاي من عمري!

تأملته وانتبهت لوقفتها بين ذراعيه.. تراجعت بخجل غير منطقي جعله يشاكسها:

- لسه واخدة بالك!

- بلال..

وتنهد بحرارة عائدًا خطوات ابتعدتها ليقترب.. فالبعد لم يعد أمرًا جائزًا مع هكذا عشق:

- تتجوزيني!

خفق قلبها فاقدًا عقلانيته بين ضلوعها..

تمسكت عيناها بعينيه بحثًا عن يقين.. وشفتاها المرتعشتان أنبأتا عن خوف مجهول أثبتته النبرة الواجفة:

- حتى بعد ما خبيت عنك الحقيقة!

اقترب أكثير يبيح لنفسه حقوق ملكية وإن كانت "باعتبار ما سيكون"..

- تتجوزيني!

- بلال!..

أزاح خصلاتها مرة ثانية:

- على فكرة بقى.. هتتجوزيني، الموضوع خلصان.

ابتسمت وجفنها غافلته دمعة مسحها بإبهامه:

- لأ.. دموع لأ، حتى لو كانت سعيدة عشان هنتجوز وكده.

وكزت كتفه بدلال فكان دوره في الابتسام والمناوشة:

- على فكرة كمان.. شعرك أطول من شعرها..

- بتهرج!.. بنعمله عند نفس...

- تؤ تؤ.. أطول، وأفتح كمان.. أنت سايباه يجنن اللي حواليك، وهي على طول رابطاه ولا الستات المتزمتة بتوع الستينات.

- بلاااال.

تنهره، وهو سعيد..

جذب يدها عائدًا نحو المدينة ومقررًا عنها:

- طيارتنا بكرة، وفرحنا في أقرب وقت.

وهل مع قلب كقلبه.. رجل مثله.. وأمنية باغتتها بتحقق يجوز رفض!.. أو حتى تمنع هو للدلال أقرب!

تبعته وقلبها ينبض..

تبعته ومشاهدها المحذوفة المنسية تعاد..

تراها لمرة أخيرة قبل المحو المتمم والنهائي..

فمعه ستكون هناك حكاية جديدة، حكاية هو بطلها الأوحد، وهي نجمته..

ودون مشهد واحد.. محذوف!

تمت بحمد الله

٢٠١٧/٦/٢٨

صابرين الديب

حلم-هن